

سورة الرحمن عز وجل

مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ وَعِكْرَمَةَ وَعَطَاءَ وَجَابِرَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِلَّا آيَةٌ مِنْهَا، هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية ٢٩]، وَهِيَ سِتُّ وَسَبْعُونَ آيَةً. وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمِقَاتِلٌ: هِيَ مَدِينَةٌ كُلُّهَا^(١).

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ^(٢)؛ لَمَا رَوَى عُرْوَةُ بْنُ الزَّبِيرِ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بِمَكَّةَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّحَابَةَ قَالُوا: مَا سَمِعْتُ قَرِيشَ هَذَا الْقُرْآنَ يُجَهَرُ بِهِ قَطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمْوه؟ فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَنَا. فَقَالُوا: إِنَّا نَخْشَى عَلَيْكَ، وَإِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ، فَأَبَى، ثُمَّ قَامَ عِنْدَ الْمَقَامِ فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ» ثُمَّ تَمَادَى رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ وَقَرِيشَ فِي أُنْدِيَتِهَا، فَتَأَمَّلُوا وَقَالُوا: مَا يَقُولُ ابْنُ أُمِّ عَبْدِ؟ قَالُوا: هُوَ يَقُولُ: الَّذِي يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ ضَرَبُوهُ حَتَّى أَثَرُوا فِي وَجْهِهِ^(٣).

وَصَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ يُصَلِّي الصُّبْحَ بِنَخْلَةَ، فَقَرَأَ سُورَةَ «الرَّحْمَنِ» وَمَرَّ النَّفْرَ مِنَ الْجَنِّ فَآمَنُوا بِهِ^(٤). وَفِي «التِّرْمِذِيِّ» عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ «الرَّحْمَنِ» مِنْ أَوْلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: «لَقَدْ قَرَأْتَهَا عَلَى الْجَنِّ لَيْلَةَ الْجَنِّ، فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَيُّ آيَةٍ رَيْكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ قَالُوا: لَا بَشِيءَ مِنْ نَعْمِكَ رَبَّنَا نُكْذِبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ» قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ^(٥). وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) النكت والعيون ٤٢٢/٥.

(٢) المحرر الوجيز ٢٢٣/٥.

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٣٥) عن عروة بن الزبير مرسلًا.

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩)، وأحمد (٢٢٧١) عن ابن عباس دون ذكر سورة الرحمن، وذكر في الخبر الآتي.

(٥) الترمذي (٣٢٩١).

وروي أن قيس بن عاصم المِنقري قال للنبي ﷺ: ائْتُلْ عَلَيَّ مِمَّا أُنزِلُ عَلَيْكَ، فقرأ عليه سورة «الرَّحْمَن» فقال: أعِذْهَا. فأعادها ثلاثاً، فقال: واللَّهِ إِنَّ لَهُ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لِحَلَاوَةً، وَأَسْفَلَهُ لَمُعْدِقٌ، وَأَعْلَاهُ مِشْرٌ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ^(١). وروي عن عليٍّ ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لكلُّ شيءٍ عَرُوسٌ، وَعَرُوسُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الرَّحْمَنِ»^(٢).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَتَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١ وَالْحَبُّ ذُرُّ الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا تَكْفُرُونَ ۝١٣﴾

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قال سعيد بن جبير وعامر الشَّعْبِيُّ: «الرَّحْمَنُ» فاتحة ثلاث سور إذا جُمِعْنَ كُنَّ اسماً من أسماء الله تعالى: «الر» و«حَم» و«ن» فيكون مجموع هذه «الرَّحْمَنُ»^(٣). «عَلَّمَ الْقُرْآنَ» أي: علَّمه نبيّه ﷺ حتى أدَّاه إلى جميع الناس^(٤).

ونزلت حين قالوا: وَمَا الرَّحْمَنُ؟ وقيل: نزلت جواباً لأهل مكة حين قالوا: إِنَّمَا

(١) لم ننف عليه هكذا، بل جاء وصف القرآن هكذا في خبر الوليد بن المغيرة، وسلف ٤١١/١٢، وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٧٣) بهامش الإصابة) خبراً عن خالد بن عقبة بنحوه، إلا أن فيه أن النبي ﷺ قرأ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ..﴾ الآية، بدل سورة الرحمن.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٩٤). قال المناوي في فيض القدير ٥/٢٨٦: فيه علي بن الحسن ديبس، عدّه الذهبي في الضعفاء والمتروكين. وقال الدارقطني: ليس بثقة. اهـ.

(٣) النكت والعيون ٥/٤٢٤ ونسبه لابن جبير وابن عباس.

(٤) النكت والعيون ٥/٤٢٣.

يَعْلَمُهُ بَشْرٌ^(١)، وهو رحمان اليمامة، يعنون مسيلمَةَ الكَذَّابِ، فأنزل الله تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ»^(٢). وقال الزجاج^(٣): معنى «عَلَّمَ الْقُرْآنَ» أي: سَهَّلَهُ لَأَنْ يُذَكَّرَ وَيُقْرَأَ، كما قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]. وقيل: جعله علامة لما تعبد الناس به.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ قال ابن عباس وقتادة والحسن: يعني آدم عليه السلام^(٤). ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ أسماء كل شيء. وقيل: علَّمَهُ اللُّغَاتِ كُلَّهَا^(٥). وعن ابن عباس أيضاً وابن كيسان: الإنسان هاهنا يُراد به مُحَمَّدٌ ﷺ^(٦)، والبيان: بيانُ الحلال من الحرام^(٧)، والهدى من الضلال^(٨). وقيل: ما كان وما يكون؛ لأنه بيّن عن الأولين والآخرين ويوم الدين^(٩). وقال الضحَّاك: «البيان»: الخير والشر^(١٠). وقال الربيع بن أنس: هو ما ينفعه وما يضره، وقاله قتادة.

وقيل: «الإنسان» يُراد به جميع الناس، فهو اسمٌ للجنس، و«البيان» على هذا: الكلامُ والفهم، وهو مما فُضِّلَ به الإنسان على سائر الحيوان^(١١). وقال السُّدِّيُّ: عَلَّمَ

(١) تفسير البغوي ٢٦٦/٤.

(٢) تفسير أبي الليث ٣٠٤/٣.

(٣) في معاني القرآن له ٩٥/٥.

(٤) النكت والعيون ٤٢٣/٥ عن الحسن وقتادة، وتفسير البغوي ٢٦٦/٤ عن ابن عباس، وأخرجه الطبري ١٦٨/٢٢ - ١٦٩ عن قتادة.

(٥) تفسير البغوي ٢٦٦/٤.

(٦) تفسير البغوي ٢٦٨/٤، والمحزر الوجيز ٢٢٣/٥ عن ابن كيسان.

(٧) النكت والعيون ٤٢٣/٥ وعزاه لقتادة، وأخرجه عنه الطبري ١٦٩/٢٢.

(٨) النكت والعيون ٤٢٣/٥ وعزاه لابن جريج.

(٩) تفسير البغوي ٢٦٧/٤.

(١٠) النكت والعيون ٤٢٣/٥.

(١١) معاني القرآن للزجاج ٩٥/٥، وتفسير البغوي ٢٦٧/٤، وقوله: البيان: الكلام والفهم. أخرجه الطبري ١٧٠/٢٢ عن ابن زيد.

كَلَّ قَوْمٌ لِسَانَهُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُونَ بِهِ^(١). وقال يمان: الكتابة والخَطُّ بالقلم^(٢). نظيره: ﴿عَلَّرَ بِالْقَلَمِ . عَلَّرَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَتَلَّمْ﴾ [العلق: ٤-٥].

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي: يجريان بحساب معلوم، فأضمر الخبر^(٣). قال ابن عباس وقتادة وأبو مالك: أي: يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها^(٤). وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني أنَّ بهما تحسب الأوقات والآجال والأعمار، ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يَدْرِ أَحَدٌ كَيْفَ يَحْسُبُ شَيْئاً لو كان الدهر كله ليلاً أو نهاراً^(٥). وقال السُّدِّيُّ: «بِحُسْبَانٍ» تقدير آجالهما، أي: تجري بآجال كآجال الناس، فإذا جاء أجلهما أهلكا^(٦)، نظيره: ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢]. وقال الضَّحَّاكُ: بِقَدْرٍ^(٧). مجاهد: «بِحُسْبَانٍ» كحسبان الرَّحَى^(٨). يعني قطبها يدوران في مثل القطب.

والحُسْبَانُ قد يكون مصدر حَسَبْتَهُ أَحْسَبُهُ - بِالضَّمِّ - حَسْباً وَحُسْبَاناً، مثل العُقْرَانِ والكُفْرَانِ والرُّجْحَانِ، وحِسَابَةٌ أيضاً، أي: عَدَدَتُهُ. وقال الأخفش: ويكون جماعة الحِسَابِ مثل شِهَابٍ وشُهْبَانٍ. والحُسْبَانُ، أيضاً بِالضَّمِّ: العَذَابُ، والسَهَامُ القِصَارُ، وقد مضى في «الكهف»^(٩) الواحدة حُسْبَانَةٌ، والحُسْبَانَةُ أيضاً: الوسادة الصغيرة، تقول منه: حَسَبْتُهُ، إذا سَدَدْتَهُ، قال:

(١) تفسير البغوي ٤/٢٦٧.

(٢) زاد المسير ٨/١٠٦.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/٧٠١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٢٢٤، وأخرجه عنهم الطبري ٢٢/١٧٠ - ١٧١.

(٥) النكت والعيون ٥/٢٢٣ - ٢٢٤، وتفسير البغوي ٤/٢٦٧، وأخرجه الطبري ٢٢/١٧١ عن ابن زيد.

(٦) النكت والعيون ٥/٤٢٣.

(٧) النكت والعيون ٥/٤٢٤ ولم يعزه.

(٨) تفسير مجاهد ٢/٦٣٩، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/١٧٢، وعلَّقه البخاري في كتاب التفسير قبل حديث

(٤٨٧٨)، قال ابن حجر في فتح الباري ٦/٢٩٨ عن قول مجاهد: ومراده أنهما يجريان على حسب

الحركة الرحوية الدورية، وعلى وضعها.

(٩) عند الآية (٤١).

... لَشَوَيْتَ غَيْرَ مُحَسَّبٍ

أي: غير مؤسّد، يعني: غير مكرم ولا مكفّن^(١).

﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ قال ابن عباس وغيره: النجم: ما لا ساق له،

والشجر: ما له ساق^(٢)، وأنشد ابن عباس قول صفوان بن أسد التيمي:

لَقَدْ أَنْجَمَ الْقَاعَ الْكَبِيرُ عِضَاهُ وَتَمَّ بِهِ حَيَا تَمِيمٍ وَوَائِلٍ^(٣)

وقال زهير بن أبي سلمى:

مُكَلَّلٌ بِأَصُولِ النَّجْمِ تَنْسِجُهُ رِيحُ الْجَنُوبِ لِضَاحِي مَائِهِ حُبُكُ^(٤)

واشتقاق النجم من نَجَم الشيء ينجم بالضم نجوماً: ظهر وطلع^(٥).

وسجودهما بسجود ظلالهما، قاله الضحّاك^(٦). وقال الفراء^(٧): سجودهما أنهما

يستقبلان الشمس إذا طلعت، ثم يميلان معها حتى ينكسر الفيء. وقال الزجاج^(٨):

سجودهما: دوران الظلّ معهما، كما قال تعالى: ﴿يَنْفِثُوا ظِلَّالَهُمْ﴾ [النحل: ٤٨]. وقال

الحسن ومجاهد: النجم: نجم السماء، وسجوده في قول مجاهد دوران ظلّه، وهو

(١) الصحاح (حسب)، والبيت لهيكة الفزاري يخاطب عامر بن الطفيل، وتماه:

للمست بالرصعاء طعنة فاتك حرّان أو لشويت غير محسب
وأورده ابن منظور في لسان العرب (حسب) وجاءت روايته هكذا:

لَتَقِيَّتْ بِالْوَجْعَاءِ طَعْنَةَ مَرْهَفٍ مُرّان أو لشويت غير محسب
والوجعاء: الاست، أي: لو طعتك لوليتني دبرك.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٩٦/١، وما بعده منه أيضاً، والمححر الوجيز ٢٢٤/٥ ونسبه

لابن عباس والسدي وسفيان، وأخرجه الطبري ١٧٤/٢٢ - ١٧٦ عن ابن عباس وسفيان وسعيد، وابن

أبي حاتم ٣٣٢٢/١٠ (١٨٧١٧) عن ابن عباس.

(٣) أورده الشوكاني في فتح القدير ١٣١/٥ ولم ينسبه.

(٤) سلف ٤٧٢/١٩.

(٥) الصحاح (نجم).

(٦) النكت والعيون ٤٢٤/٥.

(٧) في معاني القرآن له ١١٢/٣.

(٨) في معاني القرآن له ٩٦/٥.

اختيار الطبري^(١)، حكاه المهدوي^(٢). وقيل: سجود النجم: أوفوه، وسجود الشجر: إمكان الاجتناء لثمرها، حكاه الماوردي^(٣). وقيل: إنَّ جميع ذلك مسخر لله^(٣)، فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم من الصابئين النجوم، وعبد كثير من العجم الشجر.

والسجود: الخضوع، والمعني به آثار الحدوث، حكاه القشيري^(٤). النَّحَّاسُ: أصل السجود في اللغة: الاستسلام والانقياد لله عزَّ وجلَّ، فهو من الموات كلُّها: استسلامها لأمر الله عزَّ وجلَّ وانقيادها له، ومن الحيوان كذلك، ويكون من سجود الصلاة، وأنشد محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم قال:

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعِ بَأْيَدِي الْإِكْلِينَ جُمُودَهَا^(٤)

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ وقرأ أبو السَّمَّال: «وَالسَّمَاءَ» بالرفع على الابتداء^(٥)، واختار ذلك؛ لما عطف على الجملة التي هي: «وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ» فجعل المعطوف مركباً من ابتداء وخبر كالمعطوف عليه. الباقون بالنصب؛ على إضمار فعل يدلُّ عليه ما بعده.

﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أي: العدل، عن مجاهد وقتادة والسدي^(٦). أي: وضع في الأرض العدل الذي أمر به، يقال: وضع الله الشريعة، ووضع فلان كذا، أي: ألقاه. وقيل على هذا: الميزان: القرآن؛ لأنَّ فيه بيان ما يحتاج إليه، وهو قول الحسين بن الفضل. وقال الحسن وقتادة - أيضاً - والضحاك: هو الميزان ذو اللسان الذي يوزن به؛ لينتصف به الناس بعضهم من بعض^(٧).

(١) في التفسير ١٧٤/٢٢ - ١٧٧ وأخرجه عنهما، وقول مجاهد في تفسيره ٦٣٩/٢.

(٢) في النكت والعيون ٤٢٤/٥، وأقل: غاب. اللسان (أقل).

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٢٣.

(٤) القائل الراعي النميري، وسلف ص ٧ من هذا الجزء.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحتسب ٣٠٢/٢.

(٦) النكت والعيون ٤٢٤/٥، وأخرجه الطبري ١٧٨/٢٢ عن مجاهد، وهو في تفسيره ٦٤٠/٢.

(٧) زاد المسير ١٠٧/٨.

وهو خبر بمعنى الأمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ» والقسط: العدل^(١).

وقيل: هو الحكم^(٢). وقيل: أراد وضع الميزان في الآخرة لوزن الأعمال. وأصل ميزان مؤزان، وقد مضى في «الأعراف»^(٣) القول فيه.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ موضع «أَنَّ» يجوز أن يكون نصباً على تقدير حذف حرف الجرّ، كأنه قال: لثلاثا تطغوا، كقوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]. ويجوز ألا يكون لـ «أَنَّ» موضع من الإعراب، فتكون بمعنى «أي» و«تَطْغَوْا» على هذا التقدير مجزوماً^(٤)، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا﴾ [ص: ٦] أي: امشوا.

والطغيان: مجاوزة الحدّ. فمن قال: الميزان: العدل، قال: طغيانه: الجور. ومن قال: إنّه الميزان الذي يُوزَن به، قال: طغيانه: البُخس. قال ابن عباس: أي: لا تخونوا من وزنتم له. وعنه أنّه قال: يا معشر الموالى! وُلِّيتُم أمرين بهما هلك الناس: المكيال والميزان. ومن قال: إنّه الحُكْم قال: طغيانه: التحريف^(٥). وقيل: فيه إضمار، أي: وضع الميزان وأمركم ألا تطغوا فيه.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: افعلوه مستقيماً بالعدل. وقال أبو الدرداء: أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل. وقال ابن عيينة: الإقامة باليد، والقسط بالقلب^(٦). وقال مجاهد: القسط: العدل^(٧)، بالروميّة. وقيل: هو كقولك: أقام

(١) الوسيط ٢١٨/٤.

(٢) النكت والعيون ٤٢٤/٥.

(٣) ١٥٨/٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٠٤/٤.

(٥) النكت والعيون ٤٢٥/٥، وعزا القول الأول لمجاهد، والثاني لمقاتل، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ١٧٨/٢٢.

(٦) تفسير البغوي ٢٦٧/٤.

(٧) النكت والعيون ٤٢٥/٥.

الصلاة، أي: أتى بها في وقتها، وأقام الناس أسواقهم، أي: أتوها لوقتها. أي: لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل.

﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ ولا تنقصوا الميزان^(١)، ولا تبخسوا الكيل والوزن، وهذا كقوله: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤]. وقال قتادة في هذه الآية: اغدِل يا ابن آدم كما تحبُّ أن يُعدَلَ عليك، وأوفٍ كما تحبُّ أن يُوفى لك؛ فإنَّ بالعدل صلاح الناس^(٢). وقيل: المعنى: ولا تخسروا ميزانَ حسناتكم يوم القيامة^(٣)، فيكون ذلك حسرة عليكم. وكرّر الميزان؛ لحال رؤوس الآي. وقيل: التكرير؛ للأمر بإيفاء الوزن ورعاية العدل فيه^(٤).

وقراءة العامة: «تُخْسِرُوا» بضمّ التاء وكسر السين. وقرأ بلال بن أبي بُردة وأبان عن عثمان: «تَخْسَرُوا» بفتح التاء والسين^(٥)، وهما لغتان، يقال: أَخْسَرَت الميزان وَخَسَرْتَه، كأَجْبَرْتَه وَجَبَرْتَه. وقيل: «تَخْسَرُوا» بفتح التاء والسين؛ محمول على تقدير حذف حرف الجرّ، والمعنى: ولا تخسروا في الميزان.

﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ الأنام: الناس، عن ابن عباس. الحسن: الجنّ والإنس^(٦). الضحّاك: كلُّ ما دبَّ على وجه الأرض. وهذا عامٌّ.

﴿فِيهَا فَكَيْهَةٌ﴾ أي: كلُّ ما يتفكّه به الإنسان من ألوان الثمار^(٧). ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ الأكمّام: جمع كِمٍّ، بالكسر^(٨). قال الجوهري^(٩): والكِمَّة - بالكسر -

(١) زاد المسير ١٠٧/٨ .

(٢) أخرجه الطبري ١٧٨/٢٢ .

(٣) النكت والعيون ٤٢٥/٥ .

(٤) الكشف ٤٤/٤ .

(٥) المحتسب ٣٠٣/٢ ، وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة عن بلال أنه قرأ: ولا تُخْسِر الميزان. بالمفرد، وعنه أيضاً: تُخْسِرُوا.

(٦) النكت والعيون ٤٢٥/٥ ، وأخرجه عنهما الطبري ١٨٠/٢٢ .

(٧) الوسيط ٢١٨/٤ .

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٥٦/٢ .

(٩) في الصحاح (كمم).

والكِمَامَةُ: وعاء الطَّلَعِ وِغِطَاءِ النَّوْرِ، والجمع: كِمَامٌ وَأَكِمَامٌ والأَكَامِيمُ أيضاً.
وَكُمُّ الفَصِيلُ: إذا أشفق عليه فُسِّيرَ حتى يَقْوَى، قال العجَّاج:

بَلْ لَوْ شَهِدْتَ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا بَغْمَةً لَوْلَمْ تُفَرِّجْ غُمُوا^(١)
وتُكْمُوا، أي: أغمي عليهم وغطوا.

وَأَكَمَّتْ [النَّخْلَةُ] وَكَمَّمَتْ، أي: أخرجت أكمامها. والكِمَامُ - بالكسر - والكِمَامَةُ أيضاً: ما يُكْمُّ به فمُّ البعير؛ لثلا يعضُّ، تقول منه: بعير مكوم، أي: مخجوم.
وَكَمَّمْتُ الشَّيْءَ: غطَّيته. والكَمُّ: ما ستر شيئاً وغطَّاه، ومنه كُمُّ القميص بالضم، والجمع: أَكِمَامٌ وَكِمَمَةٌ، مثل حُبِّ وَحَبِيَّةٍ. وَالكُمَّةُ: القَلَنْسُوةُ المدوَّرة؛ لأنها تُغْطِي الرأس^(٢). قال:

فَقَلْتُ لَهُمْ كَيْلُو بِكُمَّةٍ بَعْضِكُمْ ذَرَاهِمَكُمُ إِنِّي كَذَلِكَ أَكَيْلُ^(٣)
قال الحسن: «ذَاتُ الْأَكِمَامِ» أي: ذات الليف، فإنَّ النخلة قد تُكَمَّمُ بالليف، وكِمَامُهَا: ليفها الذي في أعناقها. ابن زيد: ذات الطلع قبل أن يتفتق^(٤). وقال عكرمة: ذات الأحمال.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ الحَبُّ: الحِنْطَةُ والشعير ونحوهما^(٥). والعصف: التَّبْنُ، عن الحسن وغيره^(٦). مجاهد: ورق الشجر والزرع. ابن عباس: تَبْنُ الزرع

(١) ديوان العجاج ص ٣٧٤، والرجز يذكر فيه مقتل مسعود بن عمرو العتكي من الأزدي، وروايته هكذا:

بَلْ لَوْ شَهِدْتَ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا بِقَدَرِ حَمٍّ لَهُمْ وَحُمُوا
وَعُمَّةٌ لَوْلَمْ تُفَرِّجْ غُمُوا إِذْ زَعَمْتَ رِبْعَةَ الْقِشْعَمِ
قال شارحه: قوله: تَكْمُوا: أي: اغتمدوا وسترُوا بهذا القَدَرِ وغطُّوا به. أي: قَدَّرَ القَدْرَ لَهُمْ، وَقَدَّرُوا لَهُ. والغَمَّةُ: ما غَطَّاكَ من شيءٍ وَعَمَّكَ. وَالْقِشْعَمُ: المُسِينُ.

(٢) الصحاح (كمم)، وما بين حاصرتين منه.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) النكت والعيون ٤٢٥/٥، وأخرجه عنهما الطبري ١٨١/٢٢ - ١٨٢.

(٥) الوسيط ٢١٨/٤.

(٦) تفسير البغوي ٢٦٨/٤ عن ابن عباس والضحاك وقتادة، وأخرجه عنهم الطبري ١٨٣/٢٢ - ١٨٥.

وورقُه الذي تَعَصِفُه الرياح^(١). سعيد بن جبير: بَقُلُّ الزرع، أي: أوَّل ما يَنْبِت منه، وقاله الفراء^(٢). والعرب تقول: خرجنا نَعَصِفُ الزرع: إذا قطعوا منه قبل أن يُدْرِكَ. وكذا في «الصحاح»^(٣): وَعَصَفْتُ الزَّرْعَ، أي: جززته قبل أن يُدْرِكَ. وعن ابن عباس أيضاً: العصف: ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس، نظيره: ﴿جَمَعَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^(٤) [الفيل: ٥]. الجوهري: وقد أعصفَ الزرعُ، ومكان مُعَصِفٍ، أي: كثير الزرع. قال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري:

إِذَا جُمَادَى مَنَعَتْ قَطْرَهَا زَانَ جَنَابِي عَطْنٌ مُعَصِفٌ^(٥)
والعصف أيضاً: الكَسْب، ومنه قول الراجز:

بغير ما عَصِفٍ ولا اضْطِرَافٍ^(٦)

وكذلك: الاعتصاف. والعصيفة: الورق المجتمع الذي يكون فيه السُّنْبُل. وقال الهروي: والعصف والعصيفة: ورق السُّنْبُل^(٧). وحكى الثعلبي: وقال ابن السكيت: تقول العرب لورق الزرع: العصف، والعصيفة، والجِلُّ، بكسر الجيم. قال علقمة بن عبدة:

تَسْقِي مَذَانِبَ قَد مَالَتْ عَصِيفَتُهَا حَدُورُهَا مِنْ أَيْيِ الْمَاءِ مَطْمُومٍ^(٨)

(١) النكت والعيون ٤٢٦/٥ ، وزاد المسير ١٠٨/٨ .

(٢) في معاني القرآن له ١١٣/٣ ، وما بعده منه.

(٣) مادة: (عصف).

(٤) تفسير البغوي ٢٦٨/٤ ، وأخرجه عنه الطبري ١٨٣/٢٢ .

(٥) الصحاح (عصف) وما بعده منه أيضاً، والبيت ذكره المرزوقي في الأزمنة والأمكنة ١/٢٧٥ دون نسبة، وقال ابن بري: هو لأحيحة بن الجلاح لا لأبي قيس. لسان العرب (عصف).

(٦) الصحاح (عصف)، والرجز في ديوان العجاج ص ١٤٧ ، قال شارحه: والاضطراف: التقلُّب في الأمور، والتصرف في المعيشة.

(٧) تهذيب اللغة ٤٢/٢ دون عزو إلى الهروي.

(٨) ديوان علقمة بن عبدة ص ٥٥ .

وفي «الصحاح»^(١): والجِلُّ، بالكسر: قصب الزرع إذا حُصِد.

والريحان: الرزق، عن ابن عباس ومجاهد^(٢). الضحَّاك: هي لغة حِمير^(٣). وعن ابن عباس أيضاً والضحَّاك وقتادة: أنه الريحان الذي يشمُّ، وقاله ابن زيد^(٤). وعن ابن عباس أيضاً: أنه خضرة الزرع^(٥)، وقال سعيد بن جبير: هو ما قام على ساق^(٦). وقال الفرَّاء^(٧): العصف: المأكول من الزرع، والريحان: ما لا يؤكل. وقال الكلبي: إنَّ العصف: الورق الذي لا يؤكل. والريحان: هو الحبُّ المأكول^(٨). وقيل: الريحان: كلُّ بقلة طيبة الريح، سميت رَيِّحاناً؛ لأنَّ الإنسان يَراخُ لها رائحةً طيبة. أي: يشمُّ، فهو فَعْلان رَوَّحان من الرائحة، وأصل الياء في الكلمة واو قلب ياء؛ للفرق بينه وبين الرُّوحانيّ: وهو كلُّ شيء له رُوح. قال ابن الأعرابي: يقال: شيء رُوحاني وريحاني، أي: له روح. ويجوز أن يكون على وزن فَيْعَلان، فأصله رَيِّوْحان، فأبدل من الواو ياء، وأدغم، كهَيِّنَ ولَيِّنَ، ثم ألزم التخفيف؛ لطوله، ولحاق الزائدتين الألف والنون، والأصل فيما يتركَّب من الراء والواو والحاء: الاهتزاز والحركة^(٩). وفي «الصحاح»: والرَّيحان: نبت معروف، والريحان: الرزق، تقول: خرجت أبتغي رَيِّحانَ الله، قال النُّورُ بن تُوَلِّب^(١٠):

(١) مادة: (جلل).

(٢) أخرجه عنهما الطبري ١٨٦/٢٢، وقول مجاهد في تفسيره ٦٤٠/٢.

(٣) تفسير أبي الليث ٣٠٥/٣ وفيه: الورق بلسان حمير.

(٤) النكت والعيون ٤٢٦/٥ عن الحسن والضحاك وابن زيد، وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ١٠٩/٨ ابن عباس، وأخرجه عنهم الطبري ١٨٧/٢٢.

(٥) النكت والعيون ٤٢٦/٥، وأخرجه عنه الطبري ١٨٧/٢٢.

(٦) المحرر الوجيز ٢٢٥/٥، وأخرجه عنه الطبري ١٨٨/٢٢.

(٧) في معاني القرآن له ١١٤/٣.

(٨) النكت والعيون ٤٢٦/٥.

(٩) البيان لابن الأنباري ٤٠٨/٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٧٠٥/٢.

(١٠) الصحاح (روح)، والبيت في ديوان النمر ص ٥٥.

سَلَامُ الْإِلَهِ وَرِيحَانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءٌ دِرَزٌ
وفي الحديث: «الولد من ريحان الله»^(١). وقولهم: سبحان الله وريحانه،
نصوبهما على المصدر، يريدون تنزيهاً له واستزاقاً. وأما قوله: «وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ» فالعصف: ساق الزرع، والريحان: ورقه، عن الفراء^(٢).

وقراءة العامة: «وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ» بالرفع فيها كلها؛ على العطف
على الفاكهة. ونصبها كلها ابن عامر وأبو حيوة والمغيرة^(٣)؛ عطفاً على الأرض.
وقيل: بإضمار فعل، أي: وخلق الحبّ ذا العصف والريحان، فمن هذا الوجه يحسن
الوقف على «ذَاتِ الْأَكْمَامِ»^(٤). وجرّ حمزة والكسائي: «الريحان»^(٥)؛ عطفاً على
العصف، أي: فيها الحبّ ذو العصف والريحان، ولا يمتنع ذلك على قول من جعل
الريحان الرزق، فيكون كأنه قال: والحبّ ذو الرزق. والرزق من حيث كان العصف
رزقاً؛ لأنّ العصف رزق للبهائم، والريحان رزق للناس، ولا شبهة فيه في قول من
قال: إنّه الريحان المسموم.

قوله تعالى: ﴿فِي آيَاتٍ ءآلَاءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ خطاب للإنس والجن؛ لأنّ الأنام واقع
عليهما^(٦). وهذا قول الجمهور، يدلُّ عليه حديث جابر المذكور أوّل السورة، وخرّجه

(١) أخرج أحمد (٢٧٣١٤)، والترمذي (١٩١٠) عن خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم وهو
محتضن أحد ابنتي ابنته وهو يقول: إنكم لتبخّلون وتُجَبِّنون وتجهّلون، وإنكم لمن ريحان الله. قال
الترمذي: لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعاً من خولة.

(٢) الصحاح (روح)، والذي في معاني القرآن للفراء ١١٣/٣: العصف: بقل الزرع، والريحان: رزقه.

(٣) السبعة ص ٦١٩، والتيسير ص ٢٠٦، والبحر المحيط ١٩٠/٨، وحجة القراءات لابن زنجلة
ص ٦٩٠-٦٩١.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ٩١٥/٢ - ٩١٦.

(٥) السبعة ص ٦١٩، والتيسير ص ٢٠٦، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ٦٩٠ - ٦٩١.

(٦) المحرر الوجيز ٢٢٦/٥.

الترمذي وفيه: «لَلْجِنُّ أَحْسَنُ مِنْكُمْ رَدًّا»^(١). وقيل: لما قال: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» و«خَلَقَ الْجَانَّ» دل ذلك على أن ما تقدّم وما تأخّر لهما^(٢). وأيضاً قال: «سَنَفَرُغُ لَكُمْ أَئِهَا الثَّقَلَانِ» وهو خطاب للإنس والجن، وقد قال في هذه السورة: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ». وقال الجرجاني: خاطب الجنّ مع الإنس وإن لم يتقدّم للجنّ ذكراً، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَّتَ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وقد سبق ذكر الجنّ فيما سبق نزوله من القرآن، والقرآن كالسورة الواحدة، فإذا ثبت أنهم مكلفون كالإنس حوطلب الجنسان بهذه الآيات. وقيل: الخطاب للإنس على عادة العرب في الخطاب للواحد بلفظ التثنية^(٣)، حسب ما تقدّم من القول في ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾^(٤) [ق: ٢٤]. وكذلك قوله:

قَفَّانُ بُكَ^(٥) ...

و: خَلِيلِي مُرّاً بِي^(٦) ...

فأما ما بعد «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» و«خَلَقَ الْجَانَّ» فإنه خطاب للإنس والجنّ، والصحيح قول الجمهور؛ لقوله تعالى: «وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ» والآلاء: النعم، وهو قول جميع المفسرين، واحدها إلى وألى مثل معى وعصاً، وإلي وألي أربع لغات حكاهما النحاس^(٧) قال: وفي واحد «آناء اللليل» ثلاث تسقط منها المفتوحة الألف، المسكنة

(١) هذا لفظ الحاكم في مستدركه ٤٧٤/٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

اه، وسلف ص ١١١ من هذا الجزء عن الترمذي بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٢٢٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣٠٥.

(٤) ٤٤٧/١٩.

(٥) البيت مطلع معلقة امرئ القيس، وسلف ١٠/٣٦٤.

(٦) القائل امرؤ القيس، وهو في ديوانه ص ٤١، وتمامه:

نُقِضْ لِبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمَعْدَبِ

خَلِيلِي مُرّاً بِي عَلَى أُمِّ جَنْدَبِ

قال شارحه: اللبانات: جمع لبانة، وهي الحاجة.

(٧) في إعراب القرآن له ٤/٢٨٢.

اللام، وقد مضى في «الأعراف» و«النجم»^(١). وقال ابن زيد: إنها القدرة، وتقدير الكلام: فبأي قدرة ربكما تكذبان، وقاله الكلبي^(٢)، واختاره الترمذي محمد بن علي، وقال: هذه السورة من بين السور عَلم القرآن، والعَلم إمام الجند، والجند تتبعه، وإنما صارت عَلمًا؛ لأنها سورة صفة الملك والقدرة، فقال: «الرَّحْمَنُ. عَلم القرآن» فافتتح السورة باسم الرحمن من بين الأسماء؛ ليعلم العباد أن جميع ما يصفه بعد هذا من أفعاله ومن ملكه وقدرته، خرج إليهم من الرحمة العظمى من رحمانيته فقال: «الرَّحْمَنُ. عَلم القرآن» ثم ذكر الإنسان فقال: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» ثم ذكر ما صنع به وما منَّ عليه به، ثم ذكر حساب الشمس والقمر وسجود الأشياء مما نَجَمَ وشَجَرَ، وذكر رَفَعَ السماء وَوَضَعَ الميزان وهو العدل، ووضع الأرض للأنام، فخطب هذين الثقيلين الجنَّ والإنس حين رأوا ما خرج من القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة إلى ذلك، فأشركوا به الأوثان وكلَّ معبود اتَّخذوه من دونه، وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الأشياء بها إليهم، فقال سائلًا لهم: «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبانِ» أي: بأيِّ قدرة ربكما تكذبان، فإنما كان تكذيبهم أنهم جعلوا له في هذه الأشياء التي خرجت من ملكه وقدرته شريكاً يملك معه ويقدر معه، فذلك تكذيبهم. ثم ذكر خَلَقَ الإنسان من صلصال، وذكر خَلَقَ الجانَّ من نار، ثم سألهم فقال: «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبانِ» أي: بأيِّ قدرة ربكما تكذبان، فإنَّ له في كلِّ خَلَقٍ بعد خَلَقٍ قدرة بعد قدرة، فالتكرير في هذه الآيات للتأكيد والمبالغة في التقرير، واتِّخَاذَ الحِجَّةِ عليهم بما وقفهم على خلقِ خلق.

وقال القُتَيْبِيُّ: إنَّ الله تعالى عدَّد في هذه السورة نعماءه، وذكَّر خَلْقَهُ آلاءه، ثم أتبع كلَّ خَلَّةٍ وَصَفَهَا ونعمة وضعها بهذه، وجعلها فاصلةً بين كلِّ نعمتين لينبِّههم على النِّعم ويقرِّرهم بها، كما تقول لمن تتابع فيه إحسانك وهو يكفره وينكره: أَلَمْ تكن

(١) ٢٦٤/٩ - ٢٦٥، و ص ٦٥ من هذا الجزء.

(٢) النكت والعيون ٤٢٦/٥.

فقيراً فأغنيتك، أفتنكر هذا؟! ألم تكن خاملاً فعززتك، أفتنكر هذا؟! ألم تكن صرورة فحججت بك، أفتنكر هذا؟! ألم تكن راجلاً فحملتك، أفتنكر هذا؟! والتكرير حسن في مثل هذا^(١). قال:

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ^(٢)

وقال:

لَا تَقْتُلِي مُسْلِمًا إِنْ كُنْتَ مُسْلِمَةً إِيَّاكَ مِنْ دَمِهِ إِيَّاكَ إِيَّاكَ^(٣)

وقال آخر:

لَا تَقْطَعَنَّ الصَّدِيقَ مَا ظَرَفْتَ عَيْنَاكَ مِنْ قَوْلِ كَاشِحِ أَشِيرِ
وَلَا تَمَلَنَّ مِنْ زِيَارَتِهِ زُرَّهُ وَزُرَّهُ وَزُرُّ وَزُرُّ وَزُرُّ

وقال الحسين بن الفضل: التكرير؛ طرداً للغفلة، وتأكيذاً للحجة.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ⑦ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ⑧ فَبِأَيِّ آيَاتٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ⑨ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ⑩ فَبِأَيِّ آيَاتٍ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ⑪﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير من السماء والأرض، وما فيهما من الدلالات على وحدانيته وقدرته، ذكر خلق العالم الصغير فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ باتفاق من أهل التأويل يعني: آدم^(٤).

(١) تفسير البغوي ٤/٢٦٨، وزاد المسير ٨/١١١ - ١١٢، والضرورة: الرجل الذي لم يحج قط. اللسان (صرر).

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٨٣، وزاد المسير ٨/١١١، وأمالي المرتضى ١/١٢١ ولم ينسبه.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٢٢٦.

﴿مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ الصلصال: الطين اليابس الذي يُسَمَع له صلصلة، شبهه بالفخار الذي طُبِخَ^(١). وقيل: هو طين خُلِطَ برمل^(٢). وقيل: هو الطين الممتن، من صَلَّ اللحمُ وأصل: إذا أنتن^(٣)، وقد مضى في «الحجر»^(٤). وقال هنا: «مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ»، وقال هناك: ﴿مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]. وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصفات: ١١]. وقال: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] وذلك متفق المعنى، وذلك أنه أخذ من تراب الأرض فعجنه فصار طيناً، ثم انتقل فصار كالحماء المسنون، ثم انتقل فصار صلصالاً كالفخار^(٥).

﴿وَوَخَّلَقَ الْجَانَّ مِنَ مَارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ قال الحسن: الجانُّ: إبليس وهو أبو الجن^(٦). وقيل: الجانُّ: واحد الجنِّ. والمارج: اللهب، عن ابن عباس^(٧)، وقال: خلق الله الجانَّ من خالص النار. وعنه أيضاً: من لسانها الذي يكون في طرفها إذا تهبت^(٨). وقال الليث: المارج: الشُّعْلَةُ الساطعة ذات اللهب الشديد^(٩). وعن ابن عباس أنه اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعبه بعض أحمر وأصفر وأخضر، ونحوه عن مجاهد^(١٠)، وكلُّه متقارب المعنى. وقيل: المارج: كلُّ أمر مرسل غير ممنوع، ونحوه قول المبرِّد، قال المبرِّد: المارج: النار المرسله التي لا تمنع^(١١). وقال أبو عبيدة

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٧ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١١٤/٣ ، والنكت والعيون ٤٢٨/٥ وعزاه لابن عباس.

(٣) النكت والعيون ٤٢٨/٥ وعزاه للضحك.

(٤) ٢١/١٠ .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٩٨/٥ .

(٦) زاد المسير ٣٩٩/٤ .

(٧) النكت والعيون ٤٢٨/٥ ، وأخرجه عنه الطبري ١٩٥/٢٢ .

(٨) أخرجه عنه الطبري ١٩٥/٢٢ .

(٩) تهذيب اللغة ٧٢/١١ .

(١٠) المحرر الوجيز ٢٢٦/٥ عن ابن عباس، والنكت والعيون ٤٢٨/٥ عن مجاهد، وهو في تفسيره

٦٤٠/٢ ، وأخرجه عنه الطبري ١٩٦/٢٢ .

(١١) النكت والعيون ٤٢٨/٥ .

والحسن: المارج: خلط النار. وأصله من مرج: إذا اضطرب واختلط^(١). ويروى أن الله تعالى خلق نازئين فمرج إحداهما بالأخرى، فأكلت إحداهما الأخرى وهي نار السموم، فخلق منها إبليس. قال القشيري: والمارج في اللغة: المرسل أو المختلط، وهو فاعل بمعنى مفعول، كقوله: ﴿مَاءٌ دَافِقٌ﴾ [الطارق: ٦]، و﴿عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١] والمعنى: ذو مرج، قال الجوهرى في «الصحاح»^(٢): «مَارِجٌ مِنْ نَارٍ: نار لا دخانَ لها، خُلِقَ مِنْهَا الْجَانُ. ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْكُمَا تُكذِّبَانِ﴾».

قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ أي: هو ربُّ المشرقين. وفي «الصفات»: ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الآية: ٥] وقد مضى الكلام في ذلك هنالك^(٣).

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٦﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿١٧﴾ فَيَأْتِي آءِآءٌ رَّيْكَمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٨﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي آءِآءٌ رَّيْكَمَا تُكذِّبَانِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ «مَرَجَ» أي: خَلَّى وأرسل وأهمل، يقال: مرج السلطان الناس: إذا أهملهم. وأصل المَرَج: الإهمال، كما تُمرَج الدابة في المرعى^(٤). ويقال: مَرَجَ: خَلَطَ. وقال الأخفش: ويقول قوم: أَمَرَج البحرين، مثل مَرَج، فَعَلَ وَأَفْعَلَ بمعنى^(٥).

«الْبَحْرَيْنِ» قال ابن عباس: بحر السماء وبحر الأرض، وقاله مجاهد وسعيد بن جبیر^(٦). «يَلْتَقِيَانِ» في كلِّ عام^(٧). وقيل: يلتقي طرفاهما. وقال الحسن وقتادة: بحر

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٤٣ .

(٢) مادة: (مرج).

(٣) ٨/١٨ .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٨ .

(٥) تهذيب اللغة ١١/٧٢ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣٠٦ عن ابن عباس وابن جبیر، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/٢٠٠ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/٢٠٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فارس والروم^(١). وقال ابن جريج: إنَّه البحر المالح والأنهار العذبة. وقيل: بحر المشرق والمغرب يلتقي طرفاهما. وقيل: بحر اللؤلؤ والمرجان^(٢).

«بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» أي: حاجز، فعلى القول الأوَّل ما بين السماء والأرض، قاله الضحَّاك. وعلى القول الثاني: الأرض التي بينهما وهي الحجاز، قاله الحسن وقتادة^(٣). وعلى غيرهما من الأقوال: القدرة الإلهية، على ما تقدَّم في «الفرقان»^(٤).

وفي الخبر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَلَّمَ النَّاحِيَةَ الْغَرْبِيَّةَ فَقَالَ: إِنِّي جَاعِلٌ فِيكَ عِبَادًا لِي يُسَبِّحُونِي وَيُكَبِّرُونِي وَيَهْلُلُونِي وَيُمَجِّدُونِي فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُمْ؟» فقالت: أُغْرِفُهُمْ يَا رَبِّ. قال: إِنِّي أَحْمِلُهُمْ عَلَى يَدَيَّ، وَأَجْعَلُ بِأَسْكَ فِي نَوَاحِيكَ. ثُمَّ كَلَّمَ النَّاحِيَةَ الشَّرْقِيَّةَ فَقَالَ: إِنِّي جَاعِلٌ فِيكَ عِبَادًا لِي يُسَبِّحُونِي وَيُكَبِّرُونِي وَيَهْلُلُونِي وَيُمَجِّدُونِي فَكَيْفَ أَنْتِ لَهُمْ؟ قالت: أَسْبِّحُكَ مَعَهُمْ إِذَا سَبَّحُوكَ، وَأُكَبِّرُكَ مَعَهُمْ إِذَا كَبَّرُوكَ، وَأُهَلِّلُكَ مَعَهُمْ إِذَا هَلَّلُوكَ، وَأُمَجِّدُكَ مَعَهُمْ إِذَا مَجَّدُوكَ، فَأُثَابُهَا اللَّهُ الْجَلِيلُ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا، وَتَحَوَّلَ أَحَدُهُمَا مِلْحًا أُجَاجًا، وَبَقِيَ الْآخَرُ عَلَى حَالَتِهِ عَذْبًا فُرَاتًا» ذكر هذا الخبر الترمذيُّ الحكيم أبو عبد الله قال: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ الْعَمْرِيُّ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

«لَا يَبْغِيَانِ» قال قتادة: لا يبغيان على الناس فيغرقانهم، جعل بينهما وبين الناس يَيْسًا^(٥). وعنه أيضاً ومجاهد: لا يبغيا أحدهما على صاحبه فيغلبه. ابن زيد: المعنى «لَا يَبْغِيَانِ» أن يلتقيا، وتقدير الكلام: مرج البحرين يلتقيان، لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان أن يلتقيا^(٦). وقيل: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة^(٧)، أي: بينهما مدَّة

(١) تفسير البغوي ٤/٢٦٩، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/٢٠٠.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٢٩ - ٤٣٠.

(٣) النكت والعيون ٥/٤٣٠.

(٤) ٤٥١/١٥.

(٥) تفسير البغوي ٤/٢٦٩، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٠٣.

(٦) النكت والعيون ٥/٤٣٠، وأخرجه الطبري ٢٢/٢٠٤ عن ابن زيد.

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٤٣.

قَدَّرَهَا اللهُ وهي مدَّة الدنيا، فهما لا يبغيان، فإذا أذن الله في انقضاء الدنيا صار البحران شيئاً واحداً، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]. وقال سهل ابن عبد الله: البحران: طريق الخير والشرِّ، والبرزخ الذي بينهما: التوفيق والعصمة^(١).

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان، كما يخرج من التراب الحَبَّ والعصف والريحان.

وقرأ نافع وأبو عمرو: «يُخْرَجُ» بضم الياء وفتح الراء، على الفعل المجهول. الباقيون: «يَخْرُجُ» بفتح الياء وضم الراء على أن اللؤلؤ هو الفاعل^(٢).

وقال: «مِنْهُمَا» وإنما يخرج من الملح لا العذب؛ لأنَّ العرب تجمع الجنسَيْن ثم تخبر عن أحدهما، كقوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ الرَّأْيَاتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] وإنما الرسل من الإنس دون الجنِّ، قاله الكلبيُّ وغيره^(٣). قال الزجاج^(٤): قد ذكرهما الله، فإذا خرج من أحدهما شيء فقد خرج منهما، وهو كقوله تعالى: ﴿الرَّأْيَاتُ تَرَوْنَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا . وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٥] والقمر في سماء الدنيا ولكن أجملَ ذكْر السبع، فكأنَّ ما في إحداهنَّ فيهنَّ. وقال أبو عليِّ الفارسيُّ: هذا من باب حذف المضاف^(٥). أي: من أحدهما، كقوله: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرِيَّتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] أي: من إحدى القريتين^(٦). وقال الأخفش سعيد^(٧):

(١) النكت والعيون ٤٣٠/٥ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٢٨/٥ ، والقراءة في السبعة ص ٦١٩ ، والتيسير ص ٢٠٦ ، والنشر ٣٨٠/٢ ، إلا أنه جاء في السبعة برفع الياء وكسر الراء. وقد أشار إلى هذه القراءة أبو الليث في التفسير ٣٠٧/٣ ، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٢٨/٥ إلى أبي عمرو في رواية حسين الجعفي عنه.

(٣) منهم البغوي ٢٦٩/٤ .

(٤) نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ١١٣/٨ .

(٥) زاد المسير ١١٣/٨ .

(٦) مشكل إعراب القرآن لمكي ٧٠٥/٢ .

(٧) في كتابه «الحجة» كما ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٢٨/٥ .

زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ من العذب. وقيل: هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ، ومن الآخر المرجان. ابن عباس: هما بحرا السماء والأرض^(١). فإذا وقع ماء السماء في صدف البحر انعقد لؤلؤاً فصار خارجاً منهما، وقاله الطبري^(٢).

قال الثعلبي: ولقد ذكر لي أن نواة كانت في جوف صدفة، فأصابت القطرة بعض النواة ولم تُصَبِّ البعض، فكانت حيث أصاب القطرة من النواة لؤلؤة، وسائرها نواة. وقيل: إن العذب والملح قد يلتقيان، فيكون العذب كاللقاح للملح، فنسب إليهما كما ينسب الولد إلى الذكر والأنثى وإن ولدته الأنثى، ولذلك قيل: إنه لا يخرج اللؤلؤ إلا من موضع يلتقي فيه العذب والملح. وقيل: المرجان: عظام اللؤلؤ وكباره، قاله عليّ وابن عباس رضي الله عنهما^(٣). واللؤلؤ: صغاره. وعنهما أيضاً بالعكس: إن اللؤلؤ: كبار اللؤلؤ، والمرجان: صغاره، وقاله الضحّاك وقتادة^(٤). وقال ابن مسعود وأبو مالك: المرجان: الخرز الأحمر^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَإِنِّي ءَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تَكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ يعني: السفن^(٦). ﴿الْمُنشآتُ﴾ قراءة العامة: «الْمُنشآتُ» بفتح الشين، قال قتادة: أي: المخلوقات للجري، مأخوذ من الإنشاء^(٧). وقال مجاهد: هي السفن التي رُفِعَ قَلْعُهَا، قال: وإذا لم يُرْفَع قَلْعُهَا فليست بمنشآت^(٨).

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣٠٧، والنكت والعيون ٥/٤٣١.

(٢) في التفسير ٢٢/٢٠٩ - ٢١٠، وأخرجه عن ابن عباس وعكرمة.

(٣) النكت والعيون ٥/٤٣١، وأخرجه الطبري ٢٢/٢٠٦ - ٢٠٧ عن ابن عباس، ومجاهد في التفسير

٢/٦٤١ عن عليّ ؑ.

(٤) أخرجه عنهم الطبري ٢٢/٢٠٥ - ٢٠٦.

(٥) النكت والعيون ٥/٤٣١ عن ابن مسعود، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٦٣.

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٨.

(٧) النكت والعيون ٥/٤٣١.

(٨) تفسير مجاهد ٢/٦٤١، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢١٠ - ٢١١، وعلّقهُ البخاري في كتاب التفسير

قبل حديث (٤٨٧٨)، والقلع: شراع السفينة. لسان العرب (قلع).

وقال الأخفش: إِنَّهَا الْمَجْرِيَات^(١). وفي الحديث: أَنْ عَلِيًّا ﷺ رَأَى سَفِينًا مُقْلَعَةً، فَقَالَ: وَرَبُّ هَذِهِ الْجَوَارِي الْمُنْشَاتِ مَا قَتَلْتُ عُثْمَانَ وَلَا مَالَئُ فِي قَتْلِهِ^(٢). وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم باختلاف عنه: «الْمُنْشَاتُ» بكسر الشين^(٣)، أي: المنشآت السير^(٤)، أضيف الفعل إليها؛ على التجوُّز والانتساع. وقيل: الرافعات الشُّرْع، أي: القُلْع. ومن فتح الشين قال: المرفوعات الشُّرْع^(٥).

﴿كَأَلَعَلِيبٍ﴾ أي: كالجبال، والعَلَم: الجبل الطويل^(٦)، قال:

إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ^(٧)

فالسفن في البحر كالجبال في البرِّ، وقد مضى في «الشورى»^(٨) بيانه، وقرأ يعقوب: «الْجَوَارِي» بياء في الوقف، وحذف الباقون^(٩).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٧﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْعَرْشِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٨﴾ فَيَأْتِي
ءِ الْآءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الضمير في «عَلَيْهَا» للأرض^(١٠)، وقد جرى ذكرها في أوَّل السورة في قوله تعالى: «وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ» وقد يقال: هو أكرم مَنْ

(١) النكت والعيون ٤٣١/٥.

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٧٣٩)، والبخاري في التاريخ الكبير ٦٨/٧ عن عميرة بن سعد.

(٣) السبعة ص ٦٢٠، والتيسير ص ٢٠٦.

(٤) الوسيط ٢٢٠/٤.

(٥) الكشف ٤٦/٤.

(٦) معاني القرآن للفراء ١١٥/٣.

(٧) القائل جرير يصف الإبل، والرجز في ديوانه ٥١٢/١، وبعده:

فَهِنَّ بَحْثًا كَمُضَلَّاتِ الْخُدَمِ

قال شارحه: يريد أنهنَّ يبحثن بمناسمهن الأرض كما تبحثن النساء المضلَّات خلايلهن في التراب.

(٨) ٤٨١/١٨.

(٩) النشر ١٣٨/٢.

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٩٩/٥.

عليها، يعنون الأرض وإن لم يَجْر لها ذُكْر. وقال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هَلَكَ أهل الأرض فنزلت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] فأيقنت الملائكة بالهلاك^(١)، وقاله مقاتل. ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت، ومع الموت تستوي الأقدام. وقيل: وجه النعمة أن الموت سبب النقل إلى دار الجزاء والثواب.

﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ويبقى الله، فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه، قال الشاعر:

قَضَى عَلَى خَلْقِهِ الْمَنِيَا فكلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فَانٍ^(٢)

وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا: ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم. وقال ابن عباس: الوجه عبارة عنه كما قال: «وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ». وقال أبو المعالي: وأما الوجه فالمراد به عند معظم أئمتنا وجودُ الباري تعالى، وهو الذي ارتضاه شيخنا. ومن الدليل على ذلك قوله تعالى: «وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ» والموصف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى. وقد مضى في «البقرة»^(٣) القول في هذا عند قوله تعالى: ﴿فَأَيُّنَا تُولُوا فَمَنْ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [الآية: ١١٥] وقد ذكرناه في الكتاب «الأسنى»^(٤) مستوفى.

قال القشيري: قال قوم: هو صفة زائدة على الذات لا تُكَيَّف، يحصل بها الإقبال على من أراد الربُّ تخصيصه بالإكرام.

والصحيح أن يقال: وجهه: وجوده وذاته، يقال: هذا وجه الأمر، ووجه الصواب، وعين الصواب^(٥). وقيل: أي: يبقى الظاهر بأدلتها كظهور الإنسان

(١) تفسير أبي الليث ٣/٣٠٧ دون عزو.

(٢) القائل أبو العتاهية، وهو في ديوانه ص ٣٨٥.

(٣) ٢/٣٣٠ - ٣٣٢ وتقدم هناك قول ابن عباس وابن فورك وأبي المعالي. والصحيح: أن صفة الوجه من الصفات الذاتية لله سبحانه فيجب إثباتها له على وجه يليق به.

(٤) لم نقف عليه في المطبوع منه.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٢٢٩.

بوجهه^(١). وقيل: وتبقى الجهة التي يتقرب بها إلى الله.

﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ الجلال: عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح^(٢)، يقال: جَلَّ الشَّيْءُ، أي: عَظُمَ، وأجللته، أي: عَظَّمْتَهُ، والجلال: اسم من جَلَّ^(٣). ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: هو أهل لأن يُكْرَمَ عَمَّا لا يليقُ به من الشرك، كما تقول: أنا أكرمك عن هذا، ومنه إكرام الأنبياء والأولياء^(٤). وقد أتينا على هذين الاسمين لغةً ومعنى في الكتاب «الأسنى»^(٥) مستوفى. وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «أَلِظُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٦). وروي أنه من قول ابن مسعود، ومعناه: الزموا ذلك في الدعاء^(٧). قال أبو عبيد: الإلظاظ: لزوم الشيء والمثابرة عليه. ويقال: الإلظاظ: الإلحاح.

وعن سعيد المقبري: أن رجلاً أَلَحَّ فجعل يقول: اللَّهُمَّ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ! اللَّهُمَّ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ! فنودي: إني قد سمعتُ، فما حاجتك^(٨)؟.

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلْهُمْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٦﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْتَلْهُمْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قيل: المعنى يسأله من في السماوات

(١) الوسيط ٢٢١/٤.

(٢) الوسيط ٢٢١/٤.

(٣) تهذيب اللغة ٤٨٦/١٠.

(٤) الوسيط ٢٢١/٤.

(٥) ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) و(٣٥٢٥)، وقال: هذا حديث غريب. وأخرجه أيضاً أحمد (١٧٥٩٦)، والبخاري في التاريخ الكبير ٢٨٠/٣ عن ربيعة بن عامر ؓ، والحاكم ٤٩٩/١ عن أبي هريرة ؓ، وينظر الكافي الشاف ص ١٦٢.

(٧) الصحاح (لظظ)، وما بعده منه أيضاً.

(٨) الأسنى ص ٣٢٥.

الرحمة، ومن في الأرض الرزق^(١). وقال ابن عباس وأبو صالح: أهل السماوات يسألونه المغفرة ولا يسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونهما جميعاً^(٢). وقال ابن جريج: وتسأل الملائكة الرزق لأهل الأرض، فكانت المسألتان جميعاً من أهل السماء وأهل الأرض لأهل الأرض^(٣).

وفي الحديث: «إن من الملائكة ملكاً له أربعة أوجه، وجه كوجه الإنسان وهو يسأل الله الرزق لبني آدم، ووجه كوجه الأسد وهو يسأل الله الرزق للسباع، ووجه كوجه الثور وهو يسأل الله الرزق للبهائم، ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله الرزق للطير»^(٤). وقال ابن عطاء: إنهم سألوه القوة على العبادة^(٥).

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ هذا كلام مبتدأ. وانتصب: «كُلَّ يَوْمٍ ظرفاً، لقوله: «فِي شَأْنٍ» أو ظرفاً للسؤال، ثم يتدئ: «هُوَ فِي شَأْنٍ».

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» قال: «من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين»^(٦). وعن ابن عمر عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» قال: «يغفر ذنباً، ويكشف كرباً، ويجيب داعياً»^(٧). وقيل: من شأنه أن يحيي ويميت، ويُعزّز ويذلّ، ويرزق ويمنع^(٨). وقيل: أراد شأنه في يومي الدنيا والآخرة. قال ابن بحر: الدهر كله يومان،

(١) الوسيط ٤/٢٢١.

(٢) الوسيط ٤/٢٢١ عن أبي صالح، وتفسير البغوي ٤/٢٧٠ عن ابن عباس.

(٣) النكت والعيون ٥/٤٣٢.

(٤) لم نقف عليه.

(٥) النكت والعيون ٥/٤٣٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٠٢)، قال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن. اهـ. وعلّق البخاري في صحيحه، في التفسير، قبل حديث (٤٨٧٨) عن أبي الدرداء موقوفاً.

(٧) أخرجه البزار (٢٢٦٨) كشف الأستار، وفي إسناده عبد الرحمن بن اليلماني، وهو ضعيف.

(٨) الوسيط ٤/٢٢١.

أحدهما: مدة أيام الدنيا، والآخر: يوم القيامة، فشأنه سبحانه وتعالى في أيام الدنيا الابتلاء والاختبار بالأمر والنهي، والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، وشأنه يوم القيامة الجزاء والحساب، والثواب والعقاب. وقيل: المراد بذلك الإخبار عن شأنه في كل يوم من أيام الدنيا^(١). وهو الظاهر. والشأن في اللغة: الخطب العظيم، والجمع الشؤون^(٢)، والمراد بالشأن هاهنا الجمع، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: ٦٧]. وقال الكلبي: شأنه سوق المقادير إلى المواقيت^(٣). وقال عمرو بن ميمون في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: من شأنه أن يميت حياً، ويُقِرَّ في الأرحام ما شاء، ويُعزِّ ذليلاً، ويُدَلَّ عزيزاً.

وسأل بعض الأمراء وزيره عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فلم يعرف معناها، واستمهله إلى الغد، فانصرف كئيباً إلى منزله، فقال له غلام له أسود: ما شأنك؟ فأخبره. فقال له: عُذُّ إلى الأمير فأني أفسرها له، فدعاه فقال: أيها الأمير! شأنه أن يُولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويشفي سقيماً، ويسقم سليماً، ويبتلي معافى، ويعافي مبتلى، ويعزِّ ذليلاً، ويُدَلَّ عزيزاً، ويُفقر غنياً، ويغني فقيراً. فقال له: فرَّجت عني، فرَّج الله عنك، ثم أمرَ بخلع ثياب الوزير، وكساها الغلام، فقال: يا مولاي! هذا من شأن الله تعالى^(٤). وعن عبد الله بن طاهر: أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له: أشكلت عليّ ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لي: قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١] وقد صحَّ أن الندم توبة، وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقد صحَّ أن القلم جفَّ بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]

(١) النكت والعيون ٤٣٢/٥ .

(٢) تهذيب اللغة ٤١٥/١١ .

(٣) تفسير البغوي ٢٧٠/٤ ، والمحزر الوجيز ٢٢٩/٥ ، ونسبته إلى الحسين بن الفضل.

(٤) الكشف ٤٦/٤ ، وما بعده منه أيضاً.

فما بال الأضعاف؟ فقال الحسين: يجوز ألا يكون الندم توبةً في تلك الأمة، ويكون توبةً في هذه الأمة؛ لأن الله تعالى خصَّ هذه الأمة بخصائص لم تشاركهم فيها الأمم. وقيل: إنَّ ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل، ولكن على حمله. وأما قوله: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» فإنها شؤون يبيدها لا شؤون يتديها. وأما قوله: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» فمعناه: ليس له إلا ما سعى عدلاً، ولي أن أجزيه بواحدة ألفاً فضلاً. فقام عبد الله وقبَل رأسه وسوَّغ خراجه.

قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٢) يَمَعَشَرِ الْغَيْنِ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَظَعْتُمْ أَنْ تَفْعُدُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَافْعُدُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٣) ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٤) ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْابُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ (٣٥) ﴿فَأَيُّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٦) ﴿

قوله تعالى: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ يقال: فرغت من الشغل أفرغُ فروعاً وفراعاً، وتفرغت لكذا، واستفرغت مجهودي في كذا، أي: بذلته^(١). والله تعالى ليس له شغل يفرغ منه، إنما المعنى: سنقصد لمجازاتكم أو محاسبتكم، وهذا وعيد وتهديد لهم^(٢)، كما يقول القائل لمن يريد تهديده: إذا أنفرغ لك، أي: أفضدك. وفرغ بمعنى قصد^(٣)، وأنشد ابن الأنباري في مثل هذا لجرير:

أَلَا نَ وَقَدْ فَرَعْتُ إِلَى نُمَيْرٍ فِهَذَا حِينَ كُنْتُ لَهَا عَذَابًا^(٤)
يريد: وقد قصدت. وقال أيضاً، وأنشده النحاس:

فَرَعْتُ إِلَى الْعَبْدِ الْمُقَيَّدِ فِي الْحِجْلِ^(٥)

(١) الصحاح (فرغ).

(٢) النكت والعيون ٤٣٤/٥ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٩٩/٥ .

(٤) النكت والعيون ٤٣٤/٥ ، والحجة لأبي علي الفارسي ٢٥٦/٤ و ٢٤٩/٦ ، ولم تقف على البيت في ديوان جرير.

(٥) شرح ديوان جرير ٩٥٢/٢ ، إلا أن فيه: القين، بدل: العبد.

وفي الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما بايع الأنصار ليلة العقبة، صاح الشيطان: يا أهل الجَبَابِجِ! هذا مُذَمَّمٌ يبايع بني قَيْلَةَ على حربكم. فقال النبي ﷺ: «هذا أَرْبُ الْعَقَبَةِ، أما والله يا عدوَّ الله لأنفرغنَّ لك»^(١) أي: أقصد إلى إبطال أمرك. وهذا اختيار الفتبي^(٢) والكسائي وغيرهما^(٣).

وقيل: إنَّ الله تعالى وَعَدَ على التقوى، وأوعد على الفجور، ثم قال: «سَنَفْرُغُ لَكُمْ» مما وعدناكم، ونوصل كُلاً إلى ما وعدناه، أي: أفتسيمُ ذلك وأنفَرغُ منه. قاله الحسن ومقاتل وابن زيد^(٤). وقرأ عبد الله وأبي: «سَنَفْرُغُ إِلَيْكُمْ»^(٥)، وقرأ الأعمش وإبراهيم: «سَيَفْرُغُ لَكُمْ» بضم الياء وفتح الراء، على ما لم يسمَّ فاعله. وقرأ ابن شهاب والأعرج: «سَنَفْرُغُ لَكُمْ» بفتح النون والراء^(٦)، قال الكسائي: هي لغة تميم، يقولون: فَرغَ يَفْرغُ، وحكى أيضاً: فَرغَ يَفْرغُ^(٧)، ورواهما هُبيرة، عن حفص، عن عاصم^(٨). وروى الجعفي عن أبي عمرو: «سَيَفْرُغُ» بفتح الياء والراء^(٩)، ورويت عن

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٩٨)، والفاكهي في أخبار مكة (٢٥٤٢)، والطبراني في الكبير ١٩ / (١٧٥) عن كعب بن مالك. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦ / ٤٥: رواه أحمد والطبراني بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرَّح بالسماع. اهـ. ومعنى: هذا مذمَّم: أن عدوَّ الله صرخ بما يضادُّ اسم محمد وزناً ومعنى. والجبابج: جمع جُبَّج - بالضم - وهو المستوي من الأرض ليس بخزَن، وهي أسماء منازل منى. وأرَّبُ العقبة: اسم شيطان كان بالعقبة. النهاية (ججب) و(أزب).

(٢) في تأويل مشكل القرآن له ص ٧٧.

(٣) منهم الزجاج في معاني القرآن له ٥ / ٩٩، وابن الأعرابي كما في تهذيب اللغة ٨ / ١١١.

(٤) تفسير البغوي ٤ / ٢٧١ عن الحسن ومقاتل.

(٥) الحجة للفارسي ٦ / ٢٤٩، والكشف لمكي ٢ / ٣٠٢، والكشاف للزمخشري ٤ / ٤٧ عن أبي، وذكر محقق الكشف أن في إحدى النسخ الخطية: ابن مسعود، بدل: أبي.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٩، والمحاسب ٢ / ٣٠٤، والبحر المحيط ٨ / ١٩٤.

(٧) الحجة للفارسي ٦ / ٢٤٩.

(٨) المحرر الوجيز ٥ / ٢٣٠.

(٩) المحاسب ٢ / ٣٠٤، وذكرها مجاهد في السبعة ص ٦٢٠.

ابن هُرْمَزٍ. وروى عن عيسى الثَّقَفِيِّ: «سَنَفَرُغُ لَكُمْ» بكسر النون وفتح الراء^(١)، وقرأ حمزة والكسائي: «سَيَفَرُغُ لَكُمْ» بالياء، الباقون بالنون^(٢)، وهي لغة تهامة.

والتَّثْقُلَانِ: الجِنُّ والإنس، سُمِّيَا بذلك؛ لِعِظَمِ شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما بسبب التكليف^(٣). وقيل: سُمُوا بذلك؛ لِأَنَّهُمْ ثَقُلُوا عَلَى الْأَرْضِ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهُمَا﴾ [الزلزلة: ٢] ومنه قولهم: أَعْطَاهُ ثِقَلَهُ، أي: وزنه. وقال بعض أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن يُنَافَسُ فيه، فهو ثقل. ومنه قيل لبيض النعام: ثقل؛ لِأَنَّ وَاجِدَهُ وَصَائِدَهُ يَفْرَحُ بِهِ إِذَا ظَفَرَ بِهِ. وقال جعفر الصادق: سُمِّيَا ثَقِيلَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا مَثْقُلَانِ بِالذَّنُوبِ^(٤).

وقال: «سَنَفَرُغُ لَكُمْ» فجمع، ثم قال: «أَيُّهُ الثَّقَلَانِ» لِأَنَّهُمَا فَرِيقَانِ، وَكُلُّ فَرِيقٍ جَمْعٌ، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ» وَلَمْ يَقُلْ: إِنِ اسْتَطَعْتُمَا^(٥)؛ لِأَنَّهُمَا فَرِيقَانِ فِي حَالِ الْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانٍ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥] و﴿هَذَا نِ حَصَانٍ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] وَلَوْ قَالَ: سَنَفَرُغُ لَكُمَا، وَقَالَ: إِنِ اسْتَطَعْتُمَا، لَجَازَ.

وَقَرَأَ أَهْلُ الشَّامِ: «أَيُّهُ الثَّقَلَانِ» بِضَمِّ الْهَاءِ. الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ^(٦).

مسألة: هذه السورة و«الأخفاف» و«قُلْ أُوحِيَ» [الجن: ١] دليل على أَنَّ الْجِنَّ مَخَاطَبُونَ مَكَلَّفُونَ^(٧)، مَأْمُورُونَ مَنْهِيُونَ، مَثَابُونَ مَعَاقِبُونَ، كَالْإِنْسِ سِوَاءِ، مُؤْمِنُهُمْ كَمُؤْمِنِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ كَكَافِرِهِمْ، لَا فَرْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

(١) البحر المحيط ١٩٤/٨ .

(٢) السبعة ص ٦٠٢ ، والتيسير ص ٢٠٦ .

(٣) تفسير البغوي ٢٧١/٤ .

(٤) المحرر الوجيز ٢٣٠/٥ .

(٥) معاني القرآن للفراء ١١٦/٣ .

(٦) ٢٢٨/١٥ .

(٧) التمهيد ١١٧/١١ .

قوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ الآية، ذكر ابن المبارك: وأخبرنا جوير عن الضحاك قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقق بأهلها، فتكون الملائكة على حافاتهما حتى يأمرهم الرب، فينزلون إلى الأرض، فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك، فينزلون فيكونون صفًا في جوف^(١) ذلك الصف، ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة، فينزل الملك الأعلى في بهائه وملكه ومجيبته اليسرى جهنم، فيسمعون زفيرها وشهيقها، فلا يأتون قُطرًا من أقطارها إلا وجدوا صفوفًا من الملائكة، فذلك قوله تعالى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» والسلطان: العذر.

وقال الضحاك أيضاً: بينما الناس في أسواقهم انفتحت السماء، ونزلت الملائكة، فتهرب الجن والإنس، فتحدق بهم الملائكة، فذلك قوله تعالى: «لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» ذكره النحاس. قلت: فعلى هذا، يكون في الدنيا، وعلى ما ذكر ابن المبارك، يكون في الآخرة. وعن الضحاك أيضاً: إن استطعتم أن تهربوا من الموت فاهربوا^(٢). وقال ابن عباس: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات وما في الأرض فاعلموه، ولن تعلموه إلا بسُلطان، أي: بيّنة من الله تعالى^(٣). وعنه أيضاً أن معنى: «لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم^(٤). فتادة: لا تنفذون إلا بملك، وليس لكم ملك^(٥). وقيل: لا تنفذون إلا إلى سلطان، الباء بمعنى «إلى»، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: إلي^(٦). قال الشاعر:

- (١) في (م): من خلف. والمثبت من (د) و(ظ)، والزهد لابن المبارك (٣٥٤ زوائد نعيم)، وأخرجه أيضاً الطبري ٢٢/٢١٧ - ٢١٨ من طريق الأجلح، عن الضحاك، به.
- (٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣١٠، وما بعده منه أيضاً.
- (٣) تفسير البغوي ٤/٢٧١، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢١٩.
- (٤) أخرجه الطبري ٢٢/٢١٩.
- (٥) النكت والعيون ٥/٤٣٤، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٢٠.
- (٦) تفسير البغوي ٤/٢٧١.

أَسِينِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُوءَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(١)
وقوله: «فَانفُذُوا» أمر تعجيز.

قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ أي: لو خرجتم أرسل عليكم شواظ من نار، وأخذكم العذاب المانع من النفوذ. وقيل: ليس هذا متعلقاً بالنفوذ، بل أخبر أنه يعاقب العصاة عذاباً بالنار. وقيل: أي: بالأاء ربكما تكذبان، يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس؛ عقوبة على ذلك التكذيب. وقيل: يحاط على الخلائق بالملائكة وبلسان من نار، ثم ينادون: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»، فتلك النار قوله: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ» والشواظ في قول ابن عباس وغيره: اللهب الذي لا دخان له. والنحاس: الدخان الذي لا لهب فيه^(٢). ومنه قول أمية بن أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت رضي الله عنه، كذا وقع في تفسير الثعلبي والماوردي^(٣): ابن أبي الصلت، وفي «الصحاح»^(٤) و«الوقف والابتداء»^(٥) لابن الأنباري: أمية بن خلف قال:

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ حَسَّانَ عَنِّي مُغْلَعَلَةٌ تَدْبُ إِلَى عُكَازٍ
أَلَيْسَ أَبُوكَ فِينَا كَانَ قَيْنًا لَدَى الْقَيْنَاتِ فَسَلَا فِي الْحِفَاظِ
يَمَانِيًا يَظَلُّ يَشُدُّ كَبِيرًا وَيَنْفُخُ ذَائِبًا لَهَبَ الشُّوَاظِ^(٦)
فأجابه حسان رضي الله عنه فقال:

(١) الفائل كثير عزة، وهو في ديوانه ص ٨٠. وَقَلَّتْ وَلَى وَقَلَاءَ وَمَقْلِيَّةٌ: أبغضته وكرهته غاية الكراهة. اللسان (قلا).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣١١/٤، وأخرجه عنه الطبري ٢٢٢/٢٢، ٢٢٤.

(٣) في النكت والعيون ٤٣٤/٥ - ٤٣٥ ومقتصراً على البيت الثالث.

(٤) مادة (شوظ) ومقتصراً على البيتين الثاني والثالث.

(٥) ٩٥/١.

(٦) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١٦٨، والمغلغلة: الرسالة. والقين: العبد. والفسل: النذل. والكبير: منفخ الحداد. اللسان (غلل) و(قين) و(فسل) و(كبير).

هَجَوْتِكَ فَاحْتَضَعْتَ لَهَا بِذُلٍّ بِقَافِيَةٍ تَأْجِجُ كَالشُّوَاطِ (١)
وقال رؤبة:

إِنَّ لَهُم مِّنْ وَقَعِنَا أَقْيَاطًا وِنَارَ حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّوَاطِ (٢)

وقال مجاهد: الشواط: اللهب الأخضر المنقطع من النار (٣). الضحّاك: هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب (٤). وقاله سعيد بن جبير (٥). وقد قيل: إنَّ الشواط النار والدخان جميعاً، قاله أبو عمرو، وحكاه الأخفش عن بعض العرب (٦).

وقرأ ابن كثير: «شِوَاط» بكسر الشين. الباقون بالضم (٧)، وهما لغتان، مثل صُورٍ وصِوارٍ لقطع البقر (٨).

﴿وَنُحَّاسٌ﴾ قراءة العامة: «وَنُحَّاسٌ» بالرفع عطف على «شِوَاطِ». وقرأ ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وأبو عمرو: «وَنُحَّاسٍ» بالخفض (٩) عطفاً على النار. قال المهدوي:

(١) ديوان حسان ص ١٤٢ ، وروايته فيه هكذا:

مُجَلَّلَةٌ تُعَمِّمُهُ شِنَارًا
مضرمّة تأجج كالشواط
وجاءت روايته في النكت والعيون ٤٣٥/٥ هكذا:

همزتك فاحتضعت بذل نفس
بقافية تأجج كالشواط
(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٤٤ ، وتفسير الطبري ٢٢/٢٢١ - ٢٢٢ ، والصاحح (شوط)، ولم نقف عليه في ديوان رؤبة، وذكره ابن دريد في جمهرة اللغة ٣/١٢٣ ونسبه للعجاج، ولم نقف عليه في ديوانه أيضاً.

(٣) تفسير البغوي ٤/٢٧١ ، وتفسير مجاهد ٢/٦٤٢ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٢٣ .

(٤) أخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٢٣ .

(٥) النكت والعيون ٤٣٥/٥ .

(٦) الوسيط ٤/٢٢٣ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/٧٠٦ .

(٧) السبعة ص ٦٢١ ، والتيسير ص ٢٠٦ .

(٨) معاني القرآن للفراء ٣/١١٧ .

(٩) قراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص ٦٢١ ، والتيسير ص ٢٠٦ ، وقراءة مجاهد في إعراب القرآن للنحاس ٤/٣١١ .

من قال: إِنَّ الشَّوَاظِ النَّارُ والدخانُ جميعاً، فالجرُّ في «نَحَّاسٍ» على هذا بيِّن. فأماً الجرُّ على قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه، فبعيد لا يسوغ إلا على تقدير حذف موصوف كأنه قال: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شُؤَاظٌ مِنْ نَارٍ» وشيء من نحاس، فشيء معطوف على شواظ، و«من نحاس» جملة هي صفة لشيء، وحذف شيء، وحذفت «مِنْ»؛ لتقدُّم ذكرها في «مِنْ نَارٍ»^(١) كما حذفت «على» من قولهم: على من تنزل، أنزل عليه. فيكون «نَحَّاسٍ» على هذا مجروراً بـ «من» المحذوفة.

وعن مجاهد وحُميد وعكرمة وأبي العالية: «وَنَحَّاسٍ» بكسر النون^(٢)، لغتان كالشَّوَاظِ والشُّوَاظِ. والنَّحَّاسِ - بالكسر أيضاً -: الطبيعة والأصل، يقال: فلان كريم النَّحَّاسِ. والنُّحَّاسِ - أيضاً بالضم - أي: كريم النُّجَّار^(٣). وعن مسلم بن جُنْدَب: «وَنَحْسٌ» بالرفع^(٤). وعن حنظلة بن مرَّة بن النعمان الأنصاري: «وَنَحْسٍ» بالجر^(٥) عطف على نار. ويجوز أن يكون «وَنَحَّاسٍ» بالكسر، جمع نَحْسٍ، كصَعْبٍ وصِعَابٍ، «وَنَحْسٌ» بالرفع عطف على «شواظ»، وعن الحسن: «وَنَحْسٍ» بالضم فيهنَّ^(٦) جمع نَحْسٍ. ويجوز أن يكون أصله: ونُحُوسٌ، فقصر بحذف واوه؛ حسب ما تقدّم عند قوله: ﴿وَابْتَلَجِمْ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]. وعن عبد الرحمن بن أبي بكر: «وَنَحْسٌ» بفتح النون وضمّ الحاء وتشديد السين^(٧)، من حَسَّ يَحْسُ حَسًّا: إذا استأصل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢] والمعنى: ونقتل بالعذاب.

(١) حجة القراءات للفارسي ٢٥٠/٦ - ٢٥١، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٧٠٦/٢.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٩ عن مجاهد والكلبي مع إمالة الحاء، وإعراب القرآن للنحاس ٣١١/٤، والمحرر الوجيز ٢٣١/٥ عن مجاهد، وينظر البحر المحيط ١٩٥/٨.

(٣) الصحاح (نحس).

(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣١١/٤.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٩ وسماه حنظلة بن يعمر، ولم نعرفه.

(٦) في (م): فيهما، والمثبت من النسخ الخطية، والقراءة في البحر المحيط ١٩٥/٨.

(٧) القراءات الشاذة ص ١٤٩، والمحتسب ٣٠٤/٢، وما بعده منه.

وعلى القراءة الأولى: «وَنَحَّاسٌ» فهو الصُّفْرُ المذاب يُصَبُّ على رؤوسهم، قاله مجاهد وقتادة، وروي عن ابن عباس^(١). وعن ابن عباس أيضاً وسعيد بن جبيرة أن النحاس: الدخان الذي لا لهب فيه^(٢)، وهو معنى قول الخليل^(٣)، وهو معروف في كلام العرب بهذا المعنى، قال نابغة بني جعدة:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِي - ط لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ فِيهِ نُحَاسًا^(٤)
قال الأصمعي: سمعتُ أعرابياً يقول: السَّلِيط: دهن السَّمسم بالشام ولا دخان فيه.

وقال مقاتل: هي خمسة أنهار من صُفْر مُذَاب، تجري من تحت العرش على رؤوس أهل النار، ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على مقدار النهار. وقال ابن مسعود: النُّحَاس: المُهَل^(٥). وقال الضحَّاك: هو دُرْدِيُّ الزَّيْتِ المَغْلِي. وقال الكسائي: هو النار التي لها ريح شديدة. ﴿فَلَا تَنْصُرَانِ﴾ أي: لا ينصر بعضكم بعضاً، يعني الجن والإنس^(٦).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَإِنِّي آءَاءَ رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْتَأْذَنُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَإِنِّي آءَاءَ رِيكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي: انصدعت يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾

(١) تفسير البغوي ٢٧٢/٤، وأخرجه عنهم الطبري ٢٢٥/٢٢.

(٢) زاد المسير ١١٦/٨، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢٤/٢٢.

(٣) في العين ٢٧٨/٦.

(٤) ديوان النابغة الجعدي ص ٨١، والسليط: الزيت، عند عامة العرب، وهو دهن السَّمسم عند أهل اليمن. اللسان (سلط).

(٥) تفسير البغوي ٢٧٢/٤.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢٦٤/٢ عن قتادة.

كَالِدَّهَانِ ﴿الدَّهَانُ: الدُّهْنُ، عن مجاهد والضَّحَّاك وغيرهما^(١)﴾. والمعنى أَنَّهَا صارت في صفاء الدهن، والدهان على هذا جمع دُهْن^(٢).

وقال سعيد بن جُبَيْر وقتادة: المعنى: فكانت حمراء^(٣). وقيل: المعنى: تصير في حمرة الورد وجريان الدهن، أي: تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنَّم، وتصير مثل الدُّهْن؛ لرقَّتْها وذوبانها. وقيل: الدَّهَان: الجلد الأحمر الصَّرف، ذكره أبو عبيد والفرَّاء^(٤). أي: تصير السماء حمراء كالأديم؛ لشدة حرِّ النار.

ابن عباس: المعنى: فكانت كالفرس الوَرْد^(٥). يقال للكُمَيْت: وَرَدٌ؛ إذا كان يتلَوْن بألوان مختلفة^(٦). قال ابن عباس: الفرس الوَرْد؛ في الربيع كُميت أصفر، وفي أوَّل الشتاء كُميت أحمر، فإذا اشتدَّ الشتاء كان كُميتاً أُغبر. وقال الفرَّاء^(٧): أراد الفرس الوَرْدِيَّة، تكون في الربيع وَرْدَةً إلى الصفرة، فإذا اشتدَّ البرد كانت وَرْدَةً حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وَرْدَةً إلى الغُبرة، فشبَّه تلَوْن السماء بتلَوْن الوَرْد من الخيل. وقال الحسن: «كَالدَّهَانِ» أي: كصبِّ الدُّهْن، فإنَّك إذا صببته ترى فيه ألواناً. وقال زيد بن أسلم: المعنى أَنَّهَا تصير كعَكْر الزيت، وقيل: المعنى أَنَّهَا تمرُّ وتجيء. قال الزَّجَّاج: أصل الواو والراء والذال [للمجيء والإتيان. وهذا قريب مما قدَّمناه من أَنَّ الفرس الوَرْدَةَ تتغيَّر ألوانها. وقال قتادة]: إِنَّهَا اليوم خضراء، وسيكون لها لون

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣١٢، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/٢٢٨ - ٢٢٩، وقول مجاهد في تفسيره ٦٤٢/٢.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٩.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/٣١٢ عن قتادة، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٢٨.

(٤) في معاني القرآن له ٣/١١٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٢٣١، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٢٧.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/١٠١.

(٧) في معاني القرآن له ٣/١١٧.

أحمر، حكاة الثعلبي^(١). وقال الماوردي^(٢): وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبُعد المسافة تُرى بهذا اللون الأزرق، وشبَّهوا ذلك بعروق البدن، وهي حمراء كحمرة الدم، وتُرى بالحائل زرقاء، فإن كان هذا صحيحاً فإنَّ السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز تُرى حمراء؛ لأنَّه أصل لونها. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ هذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] وأنَّ القيامة مواطن؛ لطول ذلك اليوم، فيسأل في بعض، ولا يسأل في بعض، وهذا قول عكرمة^(٣).
وقيل: المعنى: لا يسألون إذا استقرُّوا في النار.

وقال الحسن وقتادة: لا يسألون عن ذنوبهم؛ لأنَّ الله حفظها عليهم، وكتبها عليهم الملائكة. رواه العوفي عن ابن عباس^(٤).

وعن الحسن ومجاهد أيضاً: المعنى: لا تسأل الملائكة عنهم؛ لأنَّهم يعرفونهم بسيماهم، دليله ما بعده. وقاله مجاهد عن ابن عباس^(٥). وعنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَوَرَيْكَ لَسَلَّتْهُنَّ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] وقال: لا يسألهم ليعرف ذلك منهم؛ لأنَّه أعلم بذلك منهم، ولكنَّه يسألهم لم عملتموها، سؤال توبيخ. وقال أبو العالية: لا يسأل غير المجرم عن

(١) والواحد في الوسيط ٢٢٣/٤، وأخرجه الطبري ٢٢٨/٢٢ عن قتادة، وما بين حاصرتين ليست في (د).

(٢) في النكت والعيون ٤٣٦/٥.

(٣) المحرر الوجيز ٢٣٢/٥، وتفسير البغوي ٢٧٢/٤.

(٤) تفسير البغوي ٢٧٢/٤، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢٦٥/٢ عن الحسن، والطبري ٢٣٠/٢٢ عن قتادة.

(٥) تفسير البغوي ٢٧٢/٤، والمحرر الوجيز ٢٣٢/٥، وأخرجه الطبري ٢٣٠/٢٢ عن مجاهد، وهو في تفسيره ٦٤٢/٢ - ٦٤٣ بنحوه.

ذنب المجرم^(١).

وقال قتادة: كانت المسألة قَبْلُ، ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم^(٢).

وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ وفيه قال: «فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيُّ قُلٍّ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأَزْوَجْكَ وَأَسْحَرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعٌ؟ فَيَقُولُ: بلى. فيقول: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فيقول: لا. فيقول: إِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي. ثم يلقى الثاني فيقول له مثل ذلك بعينه، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرَسُولِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصَمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَبِئْسَ بَخِيرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذَا. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ فَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ هَذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمَ عَلَيَّ فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ وَلِحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخَذَهُ وَلِحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمَنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ» وقد مضى هذا الحديث في «حم السجدة» وغيرها^(٣).

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ۝٤١﴾ فَإِنَّ آءَ الْآءِ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ۝٤٢ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذَبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتِنِ فَإِنَّ آءَ الْآءِ رِيكَمَا تُكْذِبَانِ ۝٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ﴾ قال الحسن: سواد الوجه وزرقة العين^(٤)، قال الله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

(١) تفسير البغوي ٤/٢٧٢.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٣٦، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٣٠.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٨)، وسلف ١٧/٤٧٥ و ١٨/٤٠٦، ومعنى: قُلٌّ: يا فلان، وليس ترخيماً له... وقال قوم: إنه ترخيم فلان. وترأس: أي صرت رئيس القوم ومقدمهم. وتربع: تأخذ ربع الغنيمة. النهاية (فلل) و(رأس) و(ربع).

(٤) المحرر الوجيز ٥/٢٣٢، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٦٥، والطبري ٢٢/٢٣١.

﴿فِيؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي: تأخذ الملائكة بنواصيهم، أي: بشعور مقدم رؤوسهم وأقدامهم فيقذفونهم في النار^(١). والنواصي جمع ناصية. وقال الضحَّاك: يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره^(٢). وعنه: يؤخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره، ثم يُلقى في النار^(٣). وقيل: يفعل ذلك به ليكون أشدَّ لعذابه وأكثر لتشويبه. وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار، تارةً تأخذ بناصرته وتجره على وجهه، وتارةً تأخذ بقدميه وتسحبه على رأسه^(٤).

قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يقال لهم: هذه النار التي أخبرتكم بها فكذبتم^(٥). ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾ قال قتادة: يطوفون مرّةً بين الحميم، ومرّةً بين الجحيم، والجحيم: النار. والحميم: الشراب^(٦). وفي قوله تعالى: «آتٍ»: ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه الذي انتهى حرُّه وحميمه. قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة والسُّدِّيُّ^(٧)، ومنه قول النابغة الذبياني:

وَتُحْضَبُ لِحَيَّةٍ غَدَرَتْ وَخَانَتْ بأحمر من نجيع الجوفِ آتٍ^(٨)

قال قتادة: «آتٍ»: طبخ منذ خلق الله السماوات والأرض^(٩). يقول: إذا استغاثوا

(١) تفسير الطبري ٢٢/٢٣١، وتفسير أبي الليث ٣/٣٠٩.

(٢) الكشاف ٤/٤٨، وأخرجه عنه هناد في الزهد (٢٦٨).

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/١٤٥ وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤) الكشاف ٤/٤٨، والمحرم الوجيز ٥/٢٣٢ بنحوه.

(٥) الوسيط ٤/٢٢٤.

(٦) النكت والعيون ٥/٤٣٧.

(٧) النكت والعيون ٥/٤٣٧، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه الطبري ٢٢/٢٣٣ عن ابن عباس وسعيد ابن جبيرة.

(٨) ديوان النابغة ص ١٢٠، ونجيع الجوف: الدم. اللسان (نجع).

(٩) أخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٣٤.

من النار، جعل غياثهم ذلك. وقال كعب: «أن»: وادٍ من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار، فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار، فذلك قوله تعالى: «يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ»^(١). وعن كعب أيضاً: أنه الحاضر. وقال مجاهد: إنه الذي قد آن شربه وبلغ غايته^(٢).

والنعمة فيما وصف من هول القيامة وعقاب المجرمين ما في ذلك من الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات. وروي عن النبي ﷺ أنه أتى على شاب في الليل يقرأ: «فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ»، فوقف الشاب وخنقته العبرة وجعل يقول: وَيُحْيِي من يوم تنشق فيه السماء وَيُحْيِي! فقال النبي ﷺ: «وَيُحْك يا فتى مثلها، فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء لبكائك»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤١﴾ فَإِنِّي ءَأْتِيءُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فيه مسألتان:

الأولى: لما ذكر أحوال أهل النار ذكر ما أعدَّ للأبرار. والمعنى: خاف مقامه بين يدي ربه للحساب، فترك المعصية. فـ «مَقَامٌ» مصدر بمعنى القيام. وقيل: خاف قيام ربه عليه، أي: إشرافه واطلاعه عليه، بيانه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] وقال مجاهد وإبراهيم النخعي: هو الرجل يهجم بالمعصية فيذكر الله، فيدعها من خوفه^(٤).

الثانية: هذه الآية دليل على أن من قال لزوجته: إن لم أكن من أهل الجنة، فأنت

(١) تفسير البغوي ٤/٢٧٣.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٣٧، وأخرجه الطبري ٢٢/٢٣٣ عن مجاهد، وهو في تفسيره ٢/٦٤٣.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) تفسير البغوي ٤/٢٧٣، وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/٢٣٥ - ٢٣٦، وقول مجاهد أخرجه أيضاً ابن

أبي شيبة ١٣/٥٧٠، وهناد في الزهد (٨٩٩).

طالق. أنه لا يحنث إن كان همَّ بالمعصية وتركها خوفاً من الله وحياءً منه. وقال سفيان الثوري وأفتى به^(١).

وقال محمد بن عليّ الترمذي: جنّة لخوفه من ربّه، وجنة لتركه شهوته^(٢). وقال ابن عباس: من خاف مقام ربّه بعد أداء الفرائض^(٣). وقيل: المقام: الموضع، أي: خاف مقامه بين يدي ربّه للحساب، كما تقدّم^(٤). ويجوز أن يكون المقام للعباد ثم يضاف إلى الله^(٥)، وهو كالأجل في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤] وقوله في موضع آخر: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤].

﴿جَنَّاتٍ﴾ أي: لمن خاف جنتان على حدة، فلكلّ خائف جنتان. وقيل: جنتان لجميع الخائفين^(٦). والأوّل أظهر. وروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «الجنتان بستانان في عرض الجنة، كلُّ بستان مسيرة مئة عام، في وسط كلِّ بستان دار من نور، وليس منها شيء إلا يهتز نغمة وخضرة، قرارها ثابت وشجرها ثابت» ذكره المهدويّ والثعلبيّ أيضاً من حديث أبي هريرة^(٧).

وقيل: إنّ الجنّتين جنّته التي خلقت له وجنة ورثها. وقيل: إحدى الجنّتين منزله، والأخرى منزل أزواجه، كما يفعل رؤساء الدنيا. وقيل: إنّ إحدى الجنّتين مسكنه، والأخرى بستانه. وقيل: إنّ إحدى الجنّتين أسافل القصور، والأخرى أعاليها. وقال مقاتل: هما جنة عدن، وجنة النعيم^(٨).

(١) هذه اليمين ذكرت عن هارون الرشيد، وأنّ الليث بن سعد هو الذي أفتاه فيها كذلك، وقد أخرج القصة أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٢٣/٧ - ٣٢٤، ولم نقف على فتيا سفيان الثوري في المسألة.

(٢) تفسير البغوي ٢٧٣/٤.

(٣) النكت والعيون ٤٣٧/٥، وأخرجه عنه الطبري ٢٣٥/٢٢.

(٤) الوسيط ٢٢٥/٤.

(٥) تفسير الرازي ١٢٢/٢٩.

(٦) المحرر الوجيز ٢٣٣/٥.

(٧) وأورده السيوطي في الدرر المشثور ١٤٧/٦ وعزاه لابن مردويه عن عياض بن تميم.

(٨) النكت والعيون ٤٣٨/٥، والوسيط ٢٢٥/٤.

وقال الفرّاء: إنّما هي جنّة واحدة، فثنى؛ لرؤوس الآي. وأنكر القتيبي هذا وقال: لا يجوز أن يقال: خزنة النار عشرون، وإنّما قال: تسعة عشر؛ لمراعاة رؤوس الآي. وأيضاً قال: «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ»^(١). وقال أبو جعفر النّحاس: قال الفرّاء^(٢): وقد تكون جنّة فُتِنَتْ في الشعر. وهذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله عزّ وجلّ، يقول الله عزّ وجلّ: «جَنَّتَانٍ» ويصفهما بقوله: «فِيهِمَا» فيدعُ الظاهر ويقول: يجوز أن تكون جنّة ويحتجّ بالشعر! وقيل: إنّما كانتا اثنتين؛ ليضاعف له السرور بالتنقّل من جهة إلى جهة.

وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ خاصّةً حين ذكر ذات يوم الجنّة حين أُزْلِفَتْ، والنار حين بُرِّزَتْ، قاله عطاء وابن شوذب. وقال الضحّاك: بل شرب ذات يوم لبناً على ظمأً فأعجبه، فسأل عنه، فأخبر أنّه من غير حلّ، فاستقاه ورسول الله ﷺ ينظر إليه، فقال: «رحمك الله لقد أنزلت فيك آية» وتلا عليه هذه الآية^(٣).

قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٤٨) ﴿فِي آيِ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٩) ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٥٠) ﴿فِي آيِ آءِ آءٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٥١)

قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ قال ابن عباس وغيره: أي: ذواتا ألوان من الفاكهة، الواحد: فنّ^(٤). وقال مجاهد: الأفنان: الأغصان، واحداً فنّ^(٥). قال النابغة^(٦):
بكاء حمامة تدعو هديلاً
مُفَجَّعَةٍ عَلَى فَنِّ تَغْنِي

(١) تفسير أبي الليث ٣/٣١٠، وكلام القتيبي في غريب القرآن له ص ٤٤٠ - ٤٤١.

(٢) في معاني القرآن له ٣/١١٨.

(٣) النكت والعيون ٥/٤٣٧.

(٤) النكت والعيون ٥/٤٣٨ عن ابن عباس والضحّاك، والوسيط ٤/٢٢٦ عن الضحّاك وسعيد بن جبير، وأخرجه عنهم الطبري ٢٢/٢٣٩ - ٢٤٠.

(٥) تفسير البغوي ٤/٢٧٤، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٤١.

(٦) في ديوانه ص ١٢٢.

وقال آخر يصف طائرين :

باتا على غُصْنِ بَانٍ فِي ذُرَى فَنَنِ
أراد باللحون: اللغات. وقال آخر:
ما هاجَ شَوْقُكَ مِنْ هَدِيدِ حَمَامَةٍ
تَدْعُو أَبَا فَرْخَيْنِ صَادِفِ ضَارِباً
يُرَدِّدَانِ لُحُوناً ذَاتَ أَلْوَانٍ^(١)
تَدْعُو عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ حَمَاماً
ذَا مِخْلَبَيْنِ مِنَ الصُّقُورِ قَطَاماً^(٢)

والفنن جمعه: أفنان، ثم الأفانين، وقال يصف رَحَى :

لَهَا زِمَامٌ مِنْ أَفَانِينِ الشَّجَرِ

وشجرة فَنَاء، أي: ذات أفنان، وفنواء أيضاً على غير قياس^(٣).

وفي الحديث: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مُرَدُّ مَكْحَلُونَ أَوْلُو أَفَانِينَ» يريد: أولو فَنَنِ، وهو جمع أفنان، وأفنان جمع فنن [وهو الخُضْلَةُ] من الشعر شُبَّهَ بِالْغُصْنِ^(٤). ذكره الهروي.
وقيل: «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ» أي: ذواتا سعة وفضل على ما سواهما، قاله قتادة^(٥). وعن مجاهد أيضاً وعكرمة: إِنَّ الْأَفْنَانَ: ظِلُّ الْأَغْصَانِ عَلَى الْحَيْطَانِ^(٦).

قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي: في كلِّ واحدة منهما عين جارية^(٧). قال ابن عباس: تجريان ماءً بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة^(٨). وعن

(١) أمالي القالي ٦/١، ولم ينسبه.

(٢) سلف ٤٥/١.

(٣) الصحاح (فنن)، والبيت ذكره أيضاً ابن منظور في اللسان، ولم ينسبه.

(٤) تهذيب اللغة ٤٦٦/١٥، وما بين حاصرتين منه، والحديث أخرجه الترمذي (٢٥٣٩) عن أبي هريرة (٢٥٤٥) عن معاذ بن جبل بنحوه، وقال بعدهما: هذا حديث حسن غريب.

(٥) تفسير البغوي ٤/٢٧٤، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٦٥، والطبري ٢٢/٢٤١.

(٦) تفسير البغوي ٤/٢٧٤.

(٧) تفسير الطبري ٢٢/٢٤٢، وتفسير الرازي ٢٩/١٢٤.

(٨) تفسير البغوي ٤/٢٧٤.

ابن عباس أيضاً والحسن: تجريان بالماء الزلال، إحدى العينين التسنيم، والأخرى السلسبيل^(١). وعنه أيضاً: عينان مثل الدنيا أضعافاً مضاعفةً، حصباؤهما الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وترابهما الكافور، وحنأتهما المسك الأذفر، وحقاقهما الزعفران. وقال عطية: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين^(٢). وقيل: تجريان من جبل مسك^(٣). وقال أبو بكر الوراق: فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل^(٤).

قوله تعالى: ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥١﴾ فَإِنَّ آءَ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٣﴾ فَإِنَّ آءَ الْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ أي: صنفان، وكلاهما حلوا يستلذ به. قال ابن عباس: ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلوا^(٥). وقيل: ضربان رطب ويابس، لا يقصر هذا عن ذلك في الفضل والطيب^(٦). وقيل: أراد تفضيل هاتين الجنة على الجنة اللتين دونهما، فإنه ذكر هاهنا عينين جاريتين، وذكر ثم عينين تنضحان بالماء، والنضح دون الجري، فكأنه قال: في تينك الجنة من كل فاكهة نوع، وفي هذه الجنة من كل فاكهة نوعان^(٧).

قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ ﴾ هو نصب على الحال^(٨). والفُرُش: جمع

(١) زاد المسير ١٢٠/٨ عن ابن عباس، والوسيط ٢٢٦/٤ عن الحسن.

(٢) زاد المسير ١٢٠/٨، والأذفر: الطيب الريح. اللسان (ذفر).

(٣) الكشاف ٤٩/٤.

(٤) زاد المسير ١٢٠/٨.

(٥) تفسير البغوي ٢٧٤/٤.

(٦) زاد المسير ١٢٠/٨.

(٧) تفسير الرازي ١٢٥/٢٩، ١٣٣ بنحوه.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣١٤/٤.

فراش^(١). وقرأ أبو حيو: «فُرْشٍ» بإسكان الراء^(٢). ﴿بَطَائِنَهَا﴾ جمع بطانة، وهي التي تحت الظَّهارة^(٣). والإستبرق: ما غلظ من الديباج وخشن^(٤)، أي: إذا كانت البطانة التي تلي الأرض هكذا، فما ظنُّك بالظهارة، قاله ابن مسعود وأبو هريرة^(٥). وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق، فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٦) [السجدة: ١٧]. وقال ابن عباس: إنَّما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم، فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله^(٧). وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «ظواهرها نور يتلألأ»^(٨). وعن الحسن: بطائنها من إستبرق، وظواهرها من نور جامد^(٩). وعن الحسن أيضاً: البطائن هي الظواهر^(١٠)، وهو قول الفراء، وروي عن قتادة^(١١). والعرب تقول للظهر بطناً فيقولون: هذا بطن السماء وظهر الأرض، وقال الفراء: قد تكون البطانة الظهارة، والظهارة البطانة؛ لأنَّ كل واحد منهما يكون وجهاً، والعرب تقول^(١٢): هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء، لظاهاها الذي نراه. وأنكر ابن قتيبة^(١٣) وغيره هذا، وقالوا: لا يكون هذا إلا

(١) تفسير البغوي ٢٧٤/٤ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٣٣/٥ ، والبحر المحيط ١٩٧/٨ .

(٣) زاد المسير ١٢١/٨ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤٢/٢٢ .

(٥) الوسيط ٢٢٦/٤ ، وتفسير البغوي ٢٧٤/٤ ، وأخرجه الطبري ٢٤٣/٢٢ عن ابن مسعود .

(٦) تفسير أبي الليث ٣١٠/٣ ، والوسيط ٢٢٦/٤ .

(٧) النكت والعيون ٤٣٩/٥ .

(٨) المحرر الوجيز ٢٣٣/٥ ، ولم نقف عليه مستنداً .

(٩) تفسير البغوي ٢٧٤/٤ عن سعيد بن جبير .

(١٠) تفسير أبي الليث ٣١٠/٣ عن مقاتل، وزاد المسير ١٢١/٨ عن قتادة .

(١١) معاني القرآن للفراء ١١٨/٣ ، وقول قتادة في زاد المسير ١٢١/٨ .

(١٢) ليست في (م)، وكلام الفراء في معاني القرآن له ١١٨/٣ ، وينظر زاد المسير ١٢١/٨ .

(١٣) في غريب القرآن له ص ٤٤٢ .

في الوجهين المتساويين إذا وَلِيَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَوْماً، كالحائط بينك وبين قوم، وعلى ذلك أمر السماء.

﴿وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الْجَنَى: ما يُجْتَنَى من الشجر، يقال: أتانا بجنابة طيبة لكل ما يجتنى. وثمر جنِيٍّ - على فَعِيل - حين جُنِيٍّ^(١)، وقال الشاعر:

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارِهِ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ^(٢)

وقرئ: «جِنَى» بكسر الجيم^(٣). «دانٍ»: قريب. قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنبها وليُّ الله، إن شاء قائماً، وإن شاء قاعداً^(٤)، وإن شاء مضطجعا، لا يَرُدُّ يَدَهُ بُعْدٌ وَلَا شَوْكٌ^(٥).

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الظُّرُفُ لَمْ يَطْمِئُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٧﴾﴾ فَإَيُّ آيَةٍ رَيْكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾ قيل: في الجنتين المذكورتين. قال الزجاج^(٦): وإنما قال: «فِيهِنَّ» ولم يقل: فيهما؛ لأنه عنى الجنتين وما أعدَّ لصاحبهما من النعيم. وقيل: «فِيهِنَّ» يعود على الفرش^(٧) التي بطائنها من إستبرق، أي: في هذه الفرش «قاصرات الظُّرُفِ» أي: نساء قاصرات الظُّرُفِ، قَصَرْنَ أَعْيُنَهُنَّ

(١) الصحاح (جني).

(٢) هذا مثل يضرب في إثارة الرجل على نفسه، والقائل عمرو بن عدي اللخمي، وقصة المثل في مجمع الأمثال للميداني ١٣٨/٢، ٣٩٧، والمستقصى للزمخشري ٣٨٦/٢.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٠ عن محبوب.

(٤) تفسير البغوي ٢٧٤/٤.

(٥) النكت والعيون ٤٣٩/٥، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢٦٥/٢، والطبري ٢٤٤/٢٢.

(٦) في معاني القرآن له ١٠٣/٥.

(٧) زاد المسير ١٢٢/٨.

على أزواجهنَّ فلا يَرَيْنَ غيرهم^(١). وقد مضى في ﴿وَأَلصَّغْتِ﴾^(٢) ووحد الطَّرْف مع الإضافة إلى الجمع؛ لأنه في معنى المصدر، من طَرَفْت عينه تطرِف طرفاً^(٣)، ثم سميت العين بذلك، فأدَّى عن الواحد والجمع، كقولهم: قوم عدل وصوم.

الثانية: قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئُنْ﴾ أي: لم يُصْبِهَنَّ بالجماع قبل أزواجهنَّ هؤلاء أحد. الفراء: والطمث: الافتضاض، وهو النكاح بالتدمية^(٤)، طَمَّهَا يَطْمِئُهَا وَيَطْمِئُهَا طَمًّا: إذا افتضَّها. ومنه قيل: امرأة طامِث، أي: حائض^(٥). وغير الفراء يخالفه في هذا ويقول: طمئتها بمعنى وطئها على أيِّ الوجوه كان. إلا أنَّ قول الفراء أعرف وأشهر. وقرأ الكسائي: «لَمْ يَطْمِئُنْ» بضم الميم^(٦)، يقال: طمَّت المرأة تطمُّت - بالضم - حاضت. وطمَّت بالكسر لغة، فهي طامث^(٧)، وقال الفرزدق:

وَقَعْنَ إِلَيَّ لَمْ يُطْمِئُنْ قَبْلِي وَهِنَّ أَصْحُ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ^(٨)
وقيل: «لَمْ يَطْمِئُنْ» لم يَمْسِهِنَّ^(٩)، قال أبو عمرو: والطمث: المَسُّ، وذلك في كل شيء يُمَسُّ. ويقال للمرْتَع: ما طمَّث ذلك المرْتَع قبلنا أحدٌ، وما طمَّت هذه الناقة حَبْل، أي: ما مسَّها عِقَال^(١٠). وقال المبرد: أي: لم يذللَّهنَّ إنس قبلهم ولا جانٌّ، والطمث: التذليل^(١١). وقرأ الحسن: «جَانٌّ» بالهمز^(١٢).

(١) الكشاف ٤٩/٤ .

(٢) ٣٣/١٨ .

(٣) الصحاح (طرف).

(٤) الوسيط ٤/٢٢٧ .

(٥) الصحاح (طمث).

(٦) السبعة ص ٦٢١ ، والتيسير ص ٢٠٧ .

(٧) الصحاح (طمث).

(٨) ثمار القلوب ص ٤٤٢ ، وفيه: خرجن، بدل: وقعن. وأغضُّ، بدل: أصحَّ. ومنتهى الطلب ٥/٤٠٨ ، وفيه: مَشَيْنٌ، بدل: وقعن.

(٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/٢٤٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/١٠٣ .

(١٠) الصحاح (طمث).

(١١) النكت والعيون ٥/٤٣٩ .

(١٢) القراءات الشاذة ص ١٤٩-١٥٠ عن عمرو بن عبيد، والمحتسب ٢/٣٠٥ عن الحسن وعمرو بن عبيد.

الثالثة: في هذه الآية دليل على أَنَّ الْجِنَّ تَغشى كالإنس^(١)، وتدخل الجنة، ويكون لهم فيها جنّيات^(٢). قال ضمرة: للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين، فالإنسيات للإنس، والجنّيات للجنّ^(٣). وقيل: أي: لم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الجنّ في الجنة من الحور العين من الجنّيات جنّ، ولم يطمث ما وهب الله للمؤمنين من الإنس في الجنة من الحور العين من الإنسيات إنس، وذلك لأنّ الجنّ لا تَطأ بنات آدم في الدنيا. ذكره القشيري.

قلت: قد مضى في «النمل» القول في هذا، وفي «سبحان» أيضاً^(٤)، وأنّه جائز أن تَطأ بنات آدم. وقد قال مجاهد: إذا جامع الرجل ولم يُسمّ، انطوى الجانّ على إحليله فجامع معه. فذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾^(٦) وذلك بأنّ الله تبارك وتعالى وصف الحور العين بأنّه لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ، يعلمك أن نساء الآدميات قد يطمثهنّ الجانّ، وأنّ الحور العين قد برئتن من هذا العيب ونزهنّ، والطمث: الجماع. ذكره بكمال الترمذي الحكيم، وذكره المهدوي أيضاً والشعبي وغيرهما، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ فَيَايَ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ۝٥٩ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ۝٦٠﴾ فَيَايَ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانَ ۝٦١﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إنّ المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة

(١) معاني القرآن للزجاج ١٠٣/٥ .

(٢) في (د) و(ظ): جنتان.

(٣) نواذر الأصول ص ١١٦ ، ٢٤٣ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٤٨/٢٢ ، وأبو الشيخ في العظمة (١١٦٨).

(٤) ١٧٧/١٦ و ١٢٠/١٣ .

(٥) في (د) و(ظ): بني.

(٦) تفسير البغوي ٢٧٥/٤ ، وأخرجه الطبري ٢٤٨/٢٢ .

حتى يرى مَحْجَهَا» وذلك بأنَّ الله تعالى يقول: «كَانَتْهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ» فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سيلكاً ثم استصفيته لأرْبَيْتَهُ [من ورائه] ويروى موقوفاً^(١). وقال عمرو بن ميمون: إنَّ المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حُلَّةً فيرى مَحْجُ ساقها من وراء ذلك، كما يُرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء^(٢). وقال الحسن: هنَّ في صفاء الياقوت، وبياض المرجان^(٣).

قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ «هَلْ» في الكلام على أربعة أوجه: تكون بمعنى «قد» كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، وبمعنى الاستفهام كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]، وبمعنى الأمر كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وبمعنى «ما» في الجحد كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [النحل: ٣٥] و«هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ»^(٤).

قال عكرمة: أي: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله، إلا الجنة^(٥). ابن عباس: ما جزاء من قال: لا إله إلا الله، وعمِلَ بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة^(٦). وقيل: هل جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحسَنَ إليه في الآخرة، قاله ابن زيد^(٧). وروى أنس أن النبي ﷺ قرأ: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» ثم قال: «هل

(١) الترمذي (٢٥٣٣) مرفوعاً، و(٢٥٣٤) موقوفاً، وقال عنه: وهذا أصحُّ. اهـ وما بين حاصرتين منه، وفي الباب عن أبي هريرة ؓ في صفة الحور العين عند البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم (٢٨٣٤) بلفظ: «ولكل واحد منهم زوجتان، يُرى مَحْجُ سوقهما من وراء اللحم من الحُسن...» الحديث.

(٢) تفسير البغوي ٢٧٦/٤، وأخرجه عنه هناد في الزهد (١٢)، والطبري ٢٥٠/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري ٢٥٠/٢٢.

(٤) الأزهية للهروي ص ٢٠٨-٢٠٩، وحروف المعاني للزجاجي ص ٢، ومغني اللبيب ص ٤٥٦-٤٦٠.

(٥) أورده السيوطي في الدر المشور ١٤٩/٦ وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٦) تفسير البغوي ٢٧٦/٤، وزاد المسير ١٢٣/٨.

(٧) النكت والعيون ٥/٤٤٠، وأخرجه عنه الطبري ٢٥٢/٢٢ - ٢٥٣.

تدرونَ ماذا قال ربكم» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «يقول: ما جزاء من أنعمتُ عليه بالتوحيد إلا الجنة»^(١).

وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية فقال: «يقول الله: هل جزاء من أنعمتُ عليه بمعرفتي وتوحيدي إلا أن أسكنه جنّتي وحظيرة قُدسي برحمتي»^(٢). وقال الصادق: هل جزاء من أحسنْتُ عليه في الأزل إلا حفظ الإحسان عليه في الأبد^(٣). وقال محمّد بن الحنفية والحسن: هي مُسجَلَةٌ للبرِّ والفاجر^(٤)، أي: مرسلة عليه، الفاجر في الدنيا، والبرُّ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦١﴾ فَإِنِ آءَاءَ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦٢﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٣﴾ فَإِنِ آءَاءَ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ أي: وله من دون الجنّتين الأوليين جنّتان أخريان. قال ابن عباس: ومن دونهما في الدَّرَج. ابن زيد: ومن دونهما في الفضل^(٥). ابن عباس: والجنّات لمن خاف مقام ربّه، فيكون في الأوليين النخل والشجر، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط. الماوردي^(٦): ويحتمل أن يكون «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ» لأتباعه؛ لقصور منزلتهم عن منزلته، إحداهما للحوار العين، والأخرى

(١) أخرجه البغوي في التفسير ٢٧٦/٤.

(٢) لم نقف عليه.

(٣) النكت والعيون ٤٤٠/٥ بنحوه.

(٤) الكشف ٤٩/٤ عن محمد بن الحنفية، وأخرجه عنه أبو عبيد في غريب الحديث ٣٤٩/٤، والبخاري في الأدب المفرد (١٣٠)، والطبري ٢٥٣/٢٢، والبيهقي في شعب الإيمان (٩١٥٢)، وأورده الطبرسي في مجمع البيان ١٠٣/٢٧ عن علي ؑ، وعزاه إلى العياشي.

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩١٥٤) عن ابن عباس مرفوعاً، وفي إسناده الهيثم بن عدي، متروك الحديث.

(٥) تفسير البغوي ٢٧٦/٤، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٣٣٣/١٢ و٢٥٣/٢٢، وأبو الشيخ في العظمة (٢٢٨)، وقول ابن زيد أخرجه أيضاً الطبري ٢٥٤/٢٢.

(٦) في النكت والعيون ٤٤٠/٥ - ٤٤١، وما قبله منه أيضاً.

للولدان المخلدين؛ لتمييز بهما الذكور عن الإناث. وقال ابن جريج: هي أربع: جنتان منها للسابقين المقربين «فيهما من كل فاكهة زوجان» و«عينان تجريان»، وجنتان لأصحاب اليمين «فيهما فاكهة ونخل ورمان» و«فيهما عينان نضاختان»^(١). وقال ابن زيد: إن الأولين من ذهب للمقربين، والأخريين من ورق لأصحاب اليمين^(٢).

قلت: إلى هذا ذهب الحليمي أبو عبد الله الحسين بن الحسن^(٣) في كتاب «منهاج الدين»^(٤) له، واحتج بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» إلى قوله: «مذهامتان» قال: تانك للمقربين، وهاتان لأصحاب اليمين. وعن أبي موسى الأشعري نحوه. ولما وصف الله الجنتين أشار إلى الفرق بينهما فقال في الأولتين: «فيهما عينان تجريان»، وفي الأخريين: «فيهما عينان نضاختان» أي: فوارتان، ولكنهما ليستا كالجارتين؛ لأن النضخ دون الجري. وقال في الأولتين: «فيهما من كل فاكهة زوجان» فعم ولم يخص. وفي الأخريين: «فيهما فاكهة ونخل ورمان» ولم يقل: من كل فاكهة، وقال في الأولتين: «مكتنين على فرش بطائنها من إستبرق» وهو الديباج، وفي الأخريين: «مكتنين على رفرف خضر وعبقري حسان» والعبقري: الوشي^(٥)، ولاشك أن الديباج أعلى^(٦) من الوشي، والرفرف: كسر الجباء، ولاشك أن الفرش المعدة للتكاء عليها أفضل من فضل الجباء.

وقال في الأولتين في صفة الحور: «كأنهنّ الياقوت والمرجان»، وفي الأخرتين: «فيهنّ خيرات حسان» وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان.

(١) تفسير البغوي ٢٧٦/٤.

(٢) النكت والعيون ٤٤١/٥.

(٣) في النسخ: الحسن بن الحسين. وكذا وقع في التذكرة ص ٤٤٠-٤٤١ والكلام منه، وما أثبتناه هو الصواب، وتنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٣١/١٧.

(٤) منهاج في شعب الإيمان ٤٧٤/١ - ٤٧٦.

(٥) سيأتي التعريف بها قريباً.

(٦) في منهاج: أعلى.

وقال في الأولتين: «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ» وفي الأخرتين: «مُدْهَامَّتَانِ» أي: خضروان، كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان، ووصف الأولتين بكثرة الأغصان، والأخرتين بالخضرة وحدها، وفي هذا كله تحقيق للمعنى الذي قصدناه بقوله: «وَمِنْ ذُوْنِهِمَا جَنَّتَانٍ» ولعل ما لم يذكر من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر.

فإن قيل: كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأولتين؟ قيل: الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى، والجنتان الأخريان لمن قصرت حاله في الخوف من الله تعالى^(١). ومذهب الضحّاك أن الجنتين الأولتين من ذهب وفضة، والأخرتين من ياقوت وزمرد، وهما أفضل من الأولتين، وقوله: «وَمِنْ ذُوْنِهِمَا جَنَّتَانٍ» أي: ومن أمامهما ومن قبلهما^(٢). وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول»^(٣) فقال: ومعنى «وَمِنْ ذُوْنِهِمَا جَنَّتَانٍ» أي: دون هذا إلى العرش، أي: أقرب وأدنى إلى العرش. وأخذ يفضلهما على الأولتين بما سنذكره عنه. وقال مقاتل: الجنتان الأولتان جنّة عدن وجنة النعيم، والآخرتان جنّة الفردوس وجنة المأوى^(٤).

قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ أي: خضراوان من الرّبيّ، قاله ابن عباس وغيره. وقال مجاهد: مُسْوَدَّتَان. والدّهمة في اللغة: السواد^(٥)، يقال: فرس أدهم، وبغير أدهم، وناقّة دهماء، أي: اشتدت ورقته^(٦) حتى ذهب البياض الذي فيه، فإن زاد على ذلك

(١) إلى هنا نهاية النقل من المنهاج في شعب الإيمان، وما بعده من التذكرة ص ٤٤١ .

(٢) تفسير البغوي ٤/٢٧٦ .

(٣) ص ١٢٩ .

(٤) التذكرة ص ٤٤١ ، وذكر الماوردي قول مقاتل في النكت والعيون ٥/٤٤١ .

(٥) النكت والعيون ٥/٤٤١ ، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢٢/٢٥٥ ، والبيهقي في البعث والنشور

(٣٠٨) ، وقول مجاهد في تفسيره ٢/٦٤٣ ، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٥٧ .

(٦) في (م): زرقته، والتصويب من النسخ والصحاح (دهم)، والكلام منه .

حتى اشتدَّ السواد فهو جَوْنٌ. واذْهَمَّ الفرسُ ادهمَّاماً، أي: صار أدهم. وادهمَّ الشيءُ ادهمَّاماً^(١)، أي: اسوادَ، قال الله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ أي: سوداوان من شدة الخضرة من الرِّيِّ، والعرب تقول لكلِّ أخضر: أسودُ. وقال لبيد يرثي قتلى هَوازِنَ: وجاؤوا به في هَوْدَجٍ وَوَرَاءَهُ كَتَائِبُ خُضْرٍ فِي نَسِيحِ السَّنَوْرِ^(٢) السَّنَوْرُ: لُبُوسٌ مِنْ قِدِّ كَالدَّرْعِ. وَسَمِيَتْ قُرَى الْعِرَاقِ سَوَاداً؛ لكَثْرَةِ خَضْرَتِهَا^(٣). ويقال للليل المظلم: أخضر^(٤). ويقال: أبادَ الله خضراءَهم، أي: سوادهم^(٥).

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ (٦٦) ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٦٧) ﴿فِيهِمَا فُكْرَةٌ وَمِثْلٌ نَمُوتٌ﴾ (٦٨) ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٦٩)

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: فوارتان بالماء، عن ابن عباس^(٦). والنضخ بالخاء أكثر من النضح بالحاء^(٧). وعنه أن المعنى نضَّاخَتَانِ بالخير والبركة، وقاله الحسن ومجاهد^(٨). ابن مسعود وابن عباس أيضاً وأنس: تَنْضَخُ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْكَافُورِ فِي دُورِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَمَا يَنْضَخُ رَشُّ الْمَطَرِ^(٩). وقال سعيد

(١) في (م): ادهمَّاماً.

(٢) الصحاح (سنن) وما بعده منه. ولم نقف على البيت في ديوان لبيد.

(٣) الصحاح (دهم).

(٤) تهذيب اللغة ١٠٥/٧.

(٥) الصحاح (خضر).

(٦) التذكرة ص ٤٤٢، وما بعده منه أيضاً حتى قوله: بأنواع الفواكه والماء. وذكر قول ابن عباس الماوردي في النكت والعيون ٤٤١/٥، وأخرجه عنه الطبري ٢٢/٢٥٩، وابن أبي حاتم في التفسير ١٠/٣٣٢٨ (١٨٧٥٥)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٠٨).

(٧) الكشاف ٥٠/٤.

(٨) تفسير أبي الليث ٣/٣١١ عن مجاهد، والنكت والعيون ٤٤١/٥ عن الحسن والكلبي، وزاد المسير ١٢٤/٨ عن الحسن.

(٩) النكت والعيون ٤٤١/٥ عن أنس، والوسيط ٤/٢٢٨ عن ابن عباس، وتفسير البغوي ٤/٢٧٦ عن ابن مسعود وأنس، وأخرجه - عن الأخير - ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/٣٣٢٨ (١٨٧٥٧).

ابن جُبَيْر: بأنواع الفواكه والماء^(١). الترمذي: قالوا: بأنواع الفواكه والنعيم والجَوَارِي المزيّنات والدوابّ المسرّجات والثياب الملوّنة. قال الترمذي: وهذا يدلُّ على أنّ النضج أكثر من الجري. وقيل: تبعان ثم تجريان^(٢).

قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ فيه مسألتان:

الأولى: قال بعض العلماء: ليس الرمان والنخل من الفاكهة؛ لأنّ الشيء لا يُعْطَف على نفسه، إنّما يُعْطَف على غيره. وهذا ظاهر الكلام^(٣). وقال الجمهور: هما من الفاكهة، وإنّما أعاد ذكر النخل والرمان؛ لفضلهما وحُسن موقعهما على الفاكهة؛ كقوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصُّكُوتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨] وقد تقدّم^(٤).

وقيل: إنّما كرّرها؛ لأنّ النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البرّ عندنا؛ لأنّ النخل عامّة قوتهم، والرمان كالثمرات^(٥)، فكان يكثر غرسهما عندهم؛ لحاجتهم إليهما، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التي يعجبون بها، وإنّما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان؛ لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من أرض اليمن، فأخرجهما في الذكر من الفواكه، وأفرد الفواكه على حدّتها. وقيل: أفردا بالذكر؛ لأنّ النخل ثمره فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء، فلم يخلصا للتفكّه^(٦)؛ ومنه قال أبو حنيفة رحمه الله، وهي المسألة:

الثانية: إذا حلف أن لا يأكل فاكهةً، فأكل رَمَانًا أو رُطْبًا، لم يحنث. وخالفه

(١) النكت والعيون ٥/٤٤١، وأخرجه عنه ابن ابن شيبة ١٣/١٣٣، والطبري ٢٢/٢٥٩.

(٢) التذكرة ص ٤٤١.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/٤١٥، وللهراسي ٤/٣٩٧، والكلام في التذكرة ص ٤٤٢، وما بعده منه أيضاً.

(٤) ٤/١٧٤ و ٢/٢٦٢.

(٥) في النسخ الخطية: كالثمرات، والمثبت من (م) والتذكرة ص ٤٤٢ والكلام منه.

(٦) الكشف ٤/٥٠، وما بعده منه أيضاً.

صاحباہ والناس. قال ابن عباس: الرمانة في الجنة مثل البعير المقتب^(١).

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، وكرانيفها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة، منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء، أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزُّبد، ليس فيه عَجَم^(٢).

قال: وحدَّثنا المسعوديُّ، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عبيدة، قال: نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها، وثمرها أمثال القلال، كلُّما نزعت ثمرة، عادت مكانها أخرى، وإنَّ ماءها ليجري في غير أخدود، والعنقود اثنا عشر ذراعاً^(٣).

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧١﴾ فَيَأْتِيءَ آلَاءَهُنَّ رِيكًا مُتَكَدِّبًا ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ فيه مسألان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ يعني النساء، والواحدة: خيرة، على

معنى: ذوات خير^(٤). وقيل: خيرات، بمعنى خيرات، فحُفِّفَ، كهين ولين^(٥).

(١) أورد ابن كثير في التفسير ٥٠٨/٧ عن ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كمثل البعير المقتب.

(٢) الزهد لابن المبارك (١٤٨٨)، وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم في التفسير ٣٣٢٨/١٠ (١٨٧٥٨)، والحاكم في المستدرک ٤٧٥/٢ - ٤٧٦ من طريق سفيان، به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. اهـ. وجاء عند ابن المبارك وابن أبي حاتم: وكربيها، بدل: وكرانيفها. والكَرْبُ والكِرَانِيفُ: أصول سَعَف النخل. النهاية (كرب) و(كرنف). والعَجَم: النوى. اللسان (عجم)، والمقطعات: شبه الجباب ونحوها من الحَزْ وغيره. اللسان (قطع).

(٣) التذكرة ص ٤٥٢ عن ابن المبارك بهذا الإسناد، ولكن هو في كتابه الزهد (١٤٩٠) - زهد هناد أيضاً (١٠٤) - من طريق سفيان، عن عمرو بن مرّة، به، وأخرجه ابن المبارك في الزهد أيضاً برقم (١٤٨٩) من طريق سفيان، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عبيدة بنحوه.

(٤) النكت والعيون ٤٤٢/٥، والتذكرة ص ٤٤٢.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٣.

ابن المبارك: حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن سعيد بن عامر قال: لو أن خيرة من «خيرات حسان» اطلعت من السماء لأضاءت لها، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما فيها^(١).

«حسان» أي: حسان الخلق^(٢)، وإذا قال الله تعالى: «حسان» فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنها^(٣)! وقال الزهري وقتادة: «خيرات» الأخلاق «حسان» الوجوه^(٤). وروي ذلك عن النبي ﷺ من حديث أم سلمة^(٥). وقال أبو صالح: لأنهن عذاري أبقار^(٦).

وقرأ قتادة وابن السميع وأبو رجاء العطاردي وبكر بن حبيب السهمي: «خيرات» بالتشديد على الأصل^(٧). وقد قيل: إن خيرات جمع خير، والمعنى: ذوات خير. وقيل: مختارات^(٨).

قال الترمذي: فالخيرات: ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره، فاختيار الله

(١) الزهد لابن المبارك (٢٦١ زوائد نعيم) موقوفاً، ورفع البزار (٣٥٢٨ كشف الأستار)، والطبراني في الكبير (٥٥١٢) من طريق مالك بن دينار، عن شهر بن حوشب، عن سعيد بن عامر مرفوعاً.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٧/١٠: رواه الطبراني مطولاً... ورواه البزار باختصار كثير، وفيهما: الحسن عن عنبسة الوراق، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف. اهـ قلنا: ليس في إسناد الطبراني: الحسن بن عنبسة، بل فيه حماد بن الحسن بن عنبسة، وهو ثقة، وفيه الحارث بن نبهان، وهو متروك، ولكن تابعه جعفر بن سليمان. اهـ. والنصيف: الخمار. اللسان (نصف).

(٢) معاني القرآن للزجاج ١٠٤/٥.

(٣) التذكرة ص ٤٤٢.

(٤) النكت والعيون ٤٤٢/٥ عن قتادة، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٦٦، والطبراني ٢٢/٢٦٢.

(٥) أخرجه الطبراني ٢٢/٢٦٣، والطبراني في الكبير ٢٣/٣٦٧ (٨٧٠) مطولاً. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١١٩: رواه الطبراني، وفيه سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

(٦) النكت والعيون ٤٤٢/٥.

(٧) القراءات الشاذة ص ١٥٠ عن أبي عثمان النهدي، والمححر الوجيز ٥/٢٣٥، وزاد المسير ٨/١٢٥، والبحر المحيط ٨/١٩٨.

(٨) النكت والعيون ٤٤٢/٥.

لا يُشبهه اختيار آدميين. ثم قال: «حَسَانٌ» فوصفهنَّ بالحُسن، فإذا وصف خالق الحُسن شيئاً بالحُسن، فانظر ما هناك؟! وفي الأولتين ذكر بأنهنَّ «قاصِرَاتُ الطَّرْفِ» و«كَانَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ» فانظر كم بين الخيرة وهي مختارة الله، وبين قاصرات الطرف^(١)!

وفي الحديث: «إِنَّ الحور العين يأخذ بعضهنَّ بأيدي بعض، ويتغنَّين بأصوات لم تسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها: نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات فلا نَظعن أبداً، ونحن الخالديات فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات فلا نَبؤس أبداً، ونحن حَيِّرات حسان، حبيبات لأزواج كرام». خرَّجه الترمذيُّ بمعناه من حديث عليٍّ رضي الله عنه^(٢). وقالت عائشة رضي الله عنها: إِنَّ الحور العين إذا قُلْنَ هذه المقالة أجابهنَّ المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصلِّيات وما صَلَّيتنَّ، ونحن الصائمات وما صُمتنَّ، ونحن المتوضَّآت وما توضَّأتنَّ، ونحن المتصدِّقات وما تصدَّقتنَّ. فقالت عائشة رضي الله عنها: فَعَلَبْنَهُنَّ وَاللَّهِ^(٣).

الثانية: واختلف أيهما أكثر حسناً وأبهر جمالاً، الحور أو الآدميات؟ فقيل: الحور؛ لما ذكر من وصفهنَّ في القرآن والسنة، ولقوله عليه الصلاة والسلام في دعائه على الميت في الجنائز: «وَأَبْدِلْهُ زَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ». وقيل: الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف، وروي مرفوعاً. وذكر ابن المبارك: وأخبرنا رشدين، عن ابن أنعم، عن حبان بن أبي جبلة، قال: إِنَّ نساء الدنيا من دخل منهنَّ الجنة فَضِلْنَ على الحور العين بما عَمِلْنَ في الدنيا^(٤).

(١) التذكرة ص ٤٤٢ .

(٢) الترمذي (٢٥٦٤)، وهو عند أحمد (١٣٤٣)، وهناد في الزهد (٩). قال الترمذي: حديث علي حديث غريب.

(٣) لطائف الإشارات ٣/ ٥١٥، والتذكرة ص ٤٧٦، ومجمع البيان ٢٧/ ١٠٧ .

(٤) التذكرة ص ٤٧٦ - ٤٧٧، والحديث المرفوع سلف ١٩/ ١٣٩، وقول ابن أبي جبلة في الزهد لابن المبارك (٢٥٥ زوائد نعيم).

وقد قيل: إنَّ الحور العين المذكورات في القرآن هنَّ المؤمنات من أزواج النبيين والمؤمنين يُخْلَقْنَ في الآخرة على أحسن صورة، قاله الحسن البصريُّ. والمشهور أنَّ الحور العين لَسَنَ من نساء أهل الدنيا، وإنَّما هنَّ مخلوقات في الجنة؛ لأنَّ الله تعالى قال: «لَمْ يَطْمِئِنَّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ» وأكثر نساء أهل الدنيا مطموثات، ولأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ أَقْلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ»^(١) فلا يصيب كلُّ واحد منهم امرأة، ووعد الحور العين لجماعتهم، فثبت أنَّهنَّ من غير نساء الدنيا.

قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٦﴾ فَإِنِّي ءَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكُمْ تَكْوِينًا ﴿٧٧﴾ لَرَّ يَطْمِئِنَّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٨﴾ فَإِنِّي ءَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَبِّكُمْ تَكْوِينًا ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ «حُورٌ» جمع حوراء، وهي: الشديدة بياض العين، الشديدة سوادها، وقد تقدَّم^(٢). «مَّقْصُورَاتٌ»: محبوسات مستورات «فِي الْخِيَامِ» في الحجال، لَسَنَ بالطوائف في الطرق، قاله ابن عباس^(٣). وقال عمر ﷺ: الخيمة: دُرَّةٌ مجوَّفة^(٤). وقاله ابن عباس. وقال: هي فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب^(٥).

وقال الترمذيُّ الحكيم أبو عبد الله في قوله تعالى: «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ»: بلغنا في الرواية أنَّ سحابة أمطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات الرحمة، ثم ضرب على كلِّ واحدة منهنَّ خيمة على شاطئ الأنهار، سعتها أربعون ميلاً، وليس لها باب، حتى إذا دخل وليُّ الله بالخيمة^(٦)، انصدعت الخيمة عن باب

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٨)، وأحمد (١٩٨٣٧) عن عمران بن حصين ﷺ.

(٢) ١٣٧/١٩.

(٣) النكت والعيون ٤٤٢/٥، وأخرجه عنه الطبري ٢٦٦/٢٢، وسيأتي معنى: الحجال، قريباً.

(٤) أخرجه الطبري ٢٦٨/٢٢ - ٢٦٩.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/٣١٢، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/٢٦٧، والطبري ٢٢/٢٧١.

(٦) في (م): بالجنة. وكذا هي في التذكرة ص ٥٠٩، والمثبت من النسخ الخطية، والتذكرة

لِيَعْلَمَ وَلِيَّ اللهُ أَنْ أَبْصَارَ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْخَدَمِ لَمْ تَأْخُذْهَا، فَهِيَ مَقْصُورَةٌ قَدْ قُصِرَ بِهَا عَنْ أَبْصَارِ الْمَخْلُوقِينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَالَ فِي الْأَوَّلِينَ: «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» قَصِرْنَ طَرْفَهُنَّ عَلَى الْأَزْوَاجِ، وَلَمْ يَذْكَرَنَّ أَنَّهُنَّ مَقْصُورَاتٌ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُورَاتِ أَعْلَى وَأَفْضَلُ^(١). وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «مَقْصُورَاتٌ» قَدْ قُصِرْنَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَلَا يُرَدْنَ بَدَلًا مِنْهُنَّ^(٢).

وَفِي «الصَّحَاحِ»^(٣): وَقَصَّرْتُ الشَّيْءَ أَقْصِرُهُ قَضْرًا: حَبَسْتَهُ، وَمِنْهُ: مَقْصُورَةٌ الْجَامِعِ، وَقَصَّرْتُ الشَّيْءَ عَلَى كَذَا، إِذَا لَمْ تَجَاوِزْ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَامْرَأَةٌ قَاصِرَةٌ وَقُصُورَةٌ، أَي: مَقْصُورَةٌ فِي الْبَيْتِ لَا تُتْرَكُ أَنْ تَخْرُجَ، قَالَ كَثِيرٌ: وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ كُلَّ قَاصِرَةٍ إِلَيَّ وَمَا تَذْرِي بِذَلِكَ الْقَاصِرَاتِ عَنَيْتُ قَاصِرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ قِصَارَ الْخَطَا شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَاتِرِ^(٤) وَأَنْشَدَهُ الْفَرَّاءُ^(٥): قُصُورَةٌ، ذَكَرَهُ ابْنُ السَّكَيْتِ^(٦).

وَرَوَى أَنَسٌ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فِي الْجَنَّةِ بَنَهْرٍ حَاقَتْهُ قِبَابُ الْمَرْجَانِ، فَنَوْدِيَتْ مِنْهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ جَوَارِحُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ اسْتَأذَنَ رَبَّهُنَّ فِي أَنْ يُسَلِّمَنَّ عَلَيْكَ، فَأَذِنَ لَهُنَّ، فَقُلْنَ: نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ أَبَدًا، وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبُؤُسُ أَبَدًا، وَنَحْنُ الرَّاغِبَاتُ فَلَا نَسْخَطُ أَبَدًا، أَزْوَاجُ رِجَالٍ كَرَامٍ» ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: «حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي

(١) التذكرة ص ٤٤٢ .

(٢) سلف ٣٣/١٨ .

(٣) مادة: (قصر).

(٤) ديوان كثير ص ١٤٩ ، والحججال: جمع حجلة، وهي ستر يضرب للعروس في جوف البيت. والبحاتر: القصيرات المجتمعات الخلق. الوسيط (حجل) و(بحتر).

(٥) في معاني القرآن له ١٢٠/٣ .

(٦) في إصلاح المنطق ص ٣٠٥ .

الْخِيَامِ»^(١). أي: محبوسات حبسَ صيانةً وتكرمة.

وروي عن أسماء بنت يزيد الأشهلية أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا مَعِشَرُ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ، قَوَاعِدُ بَيْوتِكُمْ وَحَوَامِلُ أَوْلَادِكُمْ، فَهَلْ نَشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ، إِذَا أَحْسَبْتَنَّ تَبَعْلَ أَزْوَاجِكُنَّ، وَطَلَبْتَنَّ مَرْضَاتِهِنَّ»^(٢).
قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ﴾ أي: لم يمسسهنَّ، على ما تقدّم قبل.

وقراءة العامة: «يَطْمِئِنُّنَّ» بكسر الميم. وقرأ أبو حيوه الشاميُّ وطلحة بن مُصَرِّفٍ والأعرج والشيرازيُّ عن الكسائيِّ بضمِّ الميم في الحرفين. وكان الكسائيُّ يكسر إحداهما ويضمُّ الأخرى، ويُخَيِّرُ في ذلك، فإذا رفع الأولى كسر الثانية، وإذا كسر الأولى رفع الثانية^(٣). وهي قراءة أبي إسحاق السَّبَّعي. قال أبو إسحاق: كنت أصلي خَلْفَ أصحاب عليٍّ فيرفعون الميم، وكنت أصلي خَلْفَ أصحاب عبد الله فيكسرونها، فاستعمل الكسائيُّ الأثرين^(٤).

وهما لغتان طُمْتُ وطمِثْتُ^(٥)، مثل يَعْرُشُونَ وَيَعْكِفُونَ، فمن ضمَّ؛ فللجمع بين اللغتين، ومن كسر؛ فلأنها اللغة السائرة. وإنما أعاد قوله: «لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ» لبيان أنَّ صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة الحور القاصرات الطرف^(٦). يقول: إذا

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣٧٦)، وفي إسناده: الكديمي، وهو محمد بن يونس، ضعيف وكان يهتم بالوضع. تهذيب التهذيب ٣/٧٤١، والمجروحين ٢/٣١٢-٣١٣.

(٢) النكت والعيون ٥/٤٤٣، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٧٤٣) مطولاً، والقواعد: جمع قاعد، وهي المرأة الكبيرة المُسِنَّة. النهاية (قعد). وتبعّل أزواجكُنَّ: أي: مصاحبتهن في الزوجية والعشرة. والبعل: الزوج، ويجمع على بُعولة. النهاية (بعل).

(٣) السبعة ص ٦٢١، والتيسير ص ٢٠٧، والنشر ٢/٣٨١ - ٣٨٢.

(٤) تفسير البغوي ٤/٢٧٥، وأخرجه عن أبي إسحاق الفراء في معاني القرآن له ٣/١١٨ - ١١٩ بنحوه مختصراً.

(٥) الحجة للفارسي ٦/٢٥٣، والكشف لمكي ٢/٣٠٣.

(٦) مجمع البيان ٢٧/١٠٨.

ضجرن^(١) كانت لهنَّ الخيام في تلك الحال.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقْرِي حِسَانٍ ﴿٧٤﴾ فَيَأْتِيءَ آلاءَ رَبِّكُمَا تَكَذَّبَانِ ﴿٧٥﴾ نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْمَلَكِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ﴾ الرفرف: المحابس^(٢). وقال ابن عباس: الرفرف: فضول الفرش والبسط^(٣). وعنه أيضاً الرفرف: المحابس، يتكثون على فضولها، وقاله قتادة^(٤). وقال الحسن والقُرظي: هي البُسُط^(٥). وقال ابن عيينة: هي الزرابي. وقال ابن كيسان: هي المرافق^(٦)، وقاله الحسن أيضاً^(٧). وقال أبو عبيدة: هي حاشية الثوب. وقال الليث: ضَرَبَ من الثياب الخضِرُ تُبَسَطُ. وقيل: الفرش المرتفعة. وقيل: كلُّ ثوب عريض عند العرب فهو رفرِف^(٨). قال ابن مقبل: وَإِنَّا لَنَنْزِلُونَ تَغْشَى نِعَالَنَا سَوَاقِطُ من أصناف رَيْطٍ ورفرف^(٩) وهذه أقوال متقاربة. وفي «الصحاح»^(١٠): والرفرف: ثياب خُضِرَ تَتَّخَذُ منها المحابس، الواحدة: رَفْرَفَةٌ. وقال سعيد بن جبير وابن عباس أيضاً: الرفرف: رياض الجنة^(١١).

(١) في (ف): ضجرت، وفي (م): قصرن.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٤، والوسيط ٢٣٠/٤.

(٣) النكت والعيون ٤٤٣/٥، وأخرجه عنه الطبري ٢٧٤/٢٢، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٨).

(٤) النكت والعيون ٤٤٣/٥، والمححر الوجيز ٢٣٦/٥، وأخرجه الطبري ٢٧٤/٢٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) تفسير البغوي ٢٧٨/٤، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣٧/١٣، والطبري ٢٧٤/٢٢ عن الحسن.

(٦) تفسير البغوي ٢٧٨/٤.

(٧) المححر الوجيز ٢٣٦/٥، وأخرجه عنه الطبري ٢٧٦/٢٢.

(٨) تفسير البغوي ٢٧٨/٤، ومجمع البيان للطبرسي ١٠٥/٢٧ وما بعده منه أيضاً.

(٩) ديوان تميم بن أبي مقبل ص ١٩٨، وفيه: سوابغ، بدل: سواقط. وسبغ الشيء: طال إلى الأرض وأتسع. والريط: جمع ريطه، وهي كل ثوب لئِن رقيق.

(١٠) مادة: (رفف).

(١١) زاد المسير ١٢٧/٨، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٧٠ زوائد نعيم)، والطبري ٢٧٣/٢٢ عن سعيد بن جبير.

واشتقاق الرفرف من رَفَّ يَرِفُّ: إذا ارتفع، ومنه: رَفْرَفَ الطائر؛ لتحريكه جناحيه في الهواء. وربما سَمَوِا الظَّلِيمَ رَفْرَافاً بذلك؛ لأنه يرفرف بجناحيه ثم يَعْدُو. وَرَفْرَفَ الطائر أيضاً إذا حَرَكَّ جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه. والرفرف أيضاً: كَسَرَ الخباء، وجوانب الدُّرْعِ وما تدلَّى منها، الواحدة: رَفْرَفَةٌ. وفي الخبر في وفاة النبي ﷺ: فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه وَرَقَةٌ [تُخَشِّخَش] أي: رفع طرف الفسطاط^(١).

وقيل: أصل الرفرف من رَفَّ النبتُ يَرِفُّ: إذا صار غضاً نضيراً، حكاه الثعلبي. وقاله القتيبي. يقال للشيء إذا كثر ماؤه من التَّعَمَّةِ والغَضَّاضَةِ حتى كاد يهتز: رَفَّ يَرِفُّ رفيفاً، حكاه الهروي.

وقد قيل: إن الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرِف به وأهوى به كالمِرْجَاحِ يميناً وشمالاً، وَرَفْعاً وَخَفْضاً، يتلذذ به مع أنيسته، قاله الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» وقد ذكرناه في «التذكرة»^(٢). قال الترمذي^(٣): فالرفرف أعظم خطراً من الفرش، فذكره في الأولتين: «مُتَكَيِّبِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ» وقال هنا: «مُتَكَيِّبِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خُضِرٍ» فالرفرف هو شيء إذا استوى عليه الوليُّ رفرِف به، أي: طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمِرْجَاحِ، وأصله من رفرِف بين يدي الله عزَّ وجلَّ، روي لنا في حديث المعراج أن رسول الله ﷺ لما بلغ سِدْرَةَ المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى مسند العرش، فذكر أنه قال: «طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي بين يدي ربِّي»^(٤) ثم لَمَّا حَانَ الانصراف، تناوله فطار به خفضاً ورفعاً يهوي به حتى أدلَّهُ إلى جبريل صلوات الله وسلامه عليه،

(١) الصحاح (رفف)، وتهذيب اللغة ١٥/١٧٠، وما بين حاصرتين منه. وخبر وفاته ﷺ أورده ابن الجوزي في غريب الحديث ١/٤٠٧، وابن الأثير في النهاية ٢/٢٤٢، والخشخشة: صوت السلاح ونحوه. الصحاح (خشش).

(٢) ص ٥٠٩.

(٣) التذكرة ص ٤٤٣، وكلام الترمذي في نوادر الأصول ص ٣٦ - ٣٧ بنحوه.

(٤) لم نَقِفْ عليه إلا في نوادر الأصول ص ٣٦، ونقله عنه القرطبي في التذكرة ص ٤٤٣، والكلام منه.

وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد، فالرفرف: خادم من الخدم بين يدي الله تعالى، له خواص الأمور في محلّ الدنو والقرب، كما أنّ البُرّاق دابةٌ يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك في أرضه، فهذا الرفرف الذي سَخَّرَهُ اللهُ لأهل الجنتين الدانيتين هو متكوّهما وفرشهما، يرفرف بالوليّ على حافات تلك الأنهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان. ثم قال: ﴿وَعَبْقَرِيَّ حِسَانٍ﴾ والعبقريُّ: ثياب منقوشة تبسط، فإذا قال خالق النقوش: إنّها حسان، فما ظنُّك بتلك العباقر! .

وقرأ عثمان رضي الله عنه والجحدريّ والحسن وغيرهم: «مُتَكَيِّبِينَ عَلَيَّ رَفَارِفَ» بالجمع، غير مصروف، كذلك: «وَعَبَاقِرِيَّ حِسَانٍ»^(١) جمع رَفَرَفَ وَعَبَقَرِيَّ. و«رَفَرَفَ» اسم للجمع، و«عَبَقَرِيَّ» واحد يدلُّ على الجمع، المنسوب إلى عَبَقَر. وقد قيل: إنّ واحد رَفَرَفَ وَعَبَقَرِيَّ: رَفْرَفَةٌ وَعَبَقَرِيَّةٌ^(٢)، والرفارف والعباقر جمع الجمع. والعبقريُّ: الطَّنَافِسُ الشَّخَانُ منها، قاله الفراء^(٣). وقيل: الزَّرَّابِي، عن ابن عباس وغيره^(٤). الحسن: هي البُسْط. مجاهد: الدِّبَاج^(٥). القتبِيُّ: كلُّ ثوب وشي عند العرب عبقرِيٌّ^(٦). قال أبو عبيد^(٧): هو منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشي، فينسب إليها كلُّ وشي حِك. قال ذو الرُّمَّة:

حتى كأنَّ رياضَ القُفِّ ألبسها من وشي عبقر تجليلٌ وتنجيدٌ^(٨)

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٠، والمحتسب ٣٠٥/٢، والبحر المحيط ١٩٩/٨.

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي ٧٠٨/٢.

(٣) في معاني القرآن له ١٢٠/٣، وقاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٤٤.

(٤) زاد المسير ١٩٢/٨ عن ابن عباس وعطاء وقتادة والضحاك وابن زيد، وأخرجه الطبري ٢٧٦/٢٢ عن ابن عباس وابن جبير وقتادة.

(٥) المحرر الوجيز ٢٣٦/٥، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣٧/١٣، والطبري ٢٧٧/٢٢ عن مجاهد.

(٦) تفسير البغوي ٢٧٨/٤، وفيه: موشى، بدل: وشي.

(٧) في غريب الحديث ٨٨/١ - ٨٩ و ٤٠٠/٣ - ٤٠١.

(٨) ديوان ذي الرمة ١٣٦٦/٢، قال شارحه: والقُفُّ: ما غلظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً في ارتفاعه. والتنجيد: التزيين. فسبّه الزهر بوشي عبقر.

ويقال: عَبْقَر: قرية بناحية اليمن تُنْسَج فيها بُسُط منقوشة^(١). وقال ابن الأنباري: إِنَّ الأصل فيه أَنَّ عَبْقَر قرية يسكنها الجِنُّ، يُنسَب إليها كلُّ فائق جليل. وقال الخليل: كلُّ جليل نافس فاضل وفاخر من الرجال والنساء وغيرهم عند العرب عبقرى^(٢). ومنه قول النبي ﷺ في عمر ﷺ: «فلم أرَ عبقرياً من الناس يَفْرِي فَرِيَّه»^(٣). وقال أبو عمرو ابن العلاء وقد سئل عن قوله ﷺ: «فلم أرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّه» فقال: رئيس قوم وجليلهم^(٤). وقال زهير:

بَحْلِيلٍ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جَدِيرُونَ يَوْمًا أَنْ يَنَالُوا فَيَسْتَعْلُوا^(٥)
وقال الجوهري^(٦): العبقرى: موضع تزعم العرب أنه من أرض الجِنِّ.
قال ليبيد:

كُهُولٌ وَشُبَّانٌ كَجِنَّةِ عَبْقَرٍ^(٧)

ثم نسبوا إليه كلَّ شيء يعجبون من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا: عَبْقَرِيٌّ. وهو واحد وجمع. وفي الحديث: «إنَّه كان يسجد على عبقرى»^(٨) وهو هذه البسط

(١) معجم البلدان ٧٩/٤.

(٢) تفسير البغوي ٢٧٨/٤.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٣٩٣)، وأحمد (٤٨١٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه أيضاً البخاري (٣٦٣٤)، وأحمد (٨٢٣٩) عن أبي هريرة ﷺ، وهو عند مسلم (٢٣٩٢) بنحوه.

(٤) تهذيب اللغة ٢٩٣/٣، وما بعده منه أيضاً، وغريب الحديث لأبي عبيد ٨٧/١.

(٥) شرح ديوان زهير ص ١٠٣، قال شارحه: الجِنَّة: جمع جِنٌّ. وجديرون: خليقون. ويستعلوا: يظفروا ويقتلوا.

(٦) في الصحاح (عبقر).

(٧) شرح ديوان ليبيد ص ٥٤، وهذا عجز البيت، وصدرة:

وَمَنْ فَادَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَبَنِيهِمْ

قال شارحه: فاد: مات.

(٨) الصحاح (عبقر)، وما بعده منه أيضاً، وغريب الحديث لأبي عبيد ٨٩/١ و ٤٠٠/٣، والحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤٣٦/٢ عن عمر ﷺ أنه كان يسجد على عبقرى. وأخرج ابن أبي شيبة ٤٠٠/١ عن أنس أن النبي ﷺ نضح بساطاً لهم فصلى عليه، وعن ابن عباس بنحوه.

التي فيها الأصباغ والنقوش حتى قالوا: طُلِمَ عبقرِيّ، وهذا عبقرِيّ قوم، للرجل القويّ. وفي الحديث: «فلم أرَ عبقرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ»^(١).

ثم خاطبهم الله بما تعارفوه فقال: «وَعَبْقَرِيّ حِسَانٍ»، وقرأ بعضهم: «عَبَاقِرِيّ» وهو خطأ؛ لأنّ المنسوب لا يُجَمَع على نسبه^(٢). وقال قُطْرُب: ليس بمنسوب وهو مثل: كُرْسِيّ وكِرَاسِيّ، وبُخْتِيّ وَبَخَاتِيّ. وروى أبو بكر^(٣) أنّ رسول الله ﷺ قرأ: «مُتَكَيِّبِينَ عَلَى رَفَارِفِ خُضِرٍ وَعَبَاقِرَ حِسَانٍ»^(٤) ذكره الثعلبيّ. وضَمَّ الضادّ من «خضر» قليل.

قوله تعالى: ﴿بَنَزَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْمَلَكِ وَالْإِكْرَامِ﴾ «تَبَارَكَ» تفاعل من البركة، وقد تقدّم^(٥). «ذِي الْجَلَالِ» أي: العظمة. وقد تقدّم «وَالْإِكْرَامِ»^(٦). وقرأ ابن^(٧) عامر: «ذُو الْجَلَالِ» بالواو؛ جعله وصفاً للاسم، وذلك تقويةً لكون الاسم هو المسمّى. الباقون «ذِي الْجَلَالِ»؛ جعلوا «ذِي» صفة لـ «رَبِّكَ». وكأنّه يريد به الاسم الذي افتتح به

(١) سلف قريباً.

(٢) الصحاح (عبقر)، والقراءة في الشاذة ص ١٥٠.

(٣) في (د) و(م): أبو بكر، والمثبت من (ق) و(ظ) و(خ)، والقراءة في إعراب القرآن للنحاس ٣١٨/٤، والقراءات الشاذة ص ١٥٠، والمحتسب ٣٠٥/٢، وأخرجها أبو حفص الدوري في جزء فيه قراءات النبي ﷺ (١١٤)، والبيزار (٣٦٧٣)، والحاكم ٢٥٠/٢ من طريق عبد الله بن حفص، عن عاصم الجحدري، عن أبي بكر، به.

قال النحاس: وإسنادها ليس بالصحيح. وقال الطبري في التفسير ٢٧٧/٢٢: وذكر عن النبي ﷺ خبر غير محفوظ، ولا صحيح السند. وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: منقطع، وعاصم لم يدرك أبا بكر. اهـ. ووردت القراءة في مصادر التخرّيج: وعباقري، بالياء، بدل: وعباقر.

(٤) المحتسب ٣٠٦/٢.

(٥) ٣٦٤/١٥ - ٣٦٥.

(٦) ص ١٣٣ من هذا الجزء.

(٧) قوله: ابن. ليست في (م) و(خ) و(د). والمثبت من (ق) و(ظ)، والقراءة في السبعة ص ٦٢١، والتيسير ص ٢٠٦، والحجة للفارسي ٢٥٣/٦.

السورة، فقال: «الرَّحْمَنُ» فافتتح بهذا الاسم، فوصف خَلَقَ الإنسان والجن^(١)، وَخَلَقَ السماوات والأرض وصنعه، وأنه «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»، ووصف تدبيره فيهم، ثم وصف يوم القيامة وأهوالها، وصفة النار، ثم ختمها بصفة الجنان. ثم قال في آخر السورة: «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» أي: هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة، كأنه يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ هذا كُلُّه خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم، وخلقْتُ لكم السماء والأرض والخَلْقَ والخلِيقَةَ والجنَّةَ والنارَ، فهذا كُلُّه لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه ثم قال: «ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» جليل في ذاته، كريم في أفعاله.

ولم يختلف القراء في إجراء النعت على الوجه بالرفع في أوَّل السورة، وهو يدلُّ على أن المراد به وجهُ الله الذي يلقى المؤمنون عندما ينظرون إليه، فيستبشرون بحُسن الجزاء، وجميل اللقاء، وحسن العطاء، والله أعلم.

(١) بعدها في (د) و(خ): والشياطين.